سجاد الحولاوي

رواية

اطلانطس

والنور الخامس

- من أنت؟

- أنا كل شيء

- شيء مثل ماذا؟

- السلطة، القوة، المال والكبرياء

- وما هذا الشعاع الذي ينبعث منك؟

- هذا بريقي

- وما هو البريق؟

- الذي أُغرُّ به الشخص الذي سيستقلني

- كم شخصاً قد وقع في شراك بريقك؟

- الكثير والكثير قد وقعوا، إلا شخص واحد لم أستطع أن أغره ببريقي

- من هذا الشخص؟

- شخص يدعى النور الخامس

- ولكن حتى الآن لم تخبرني من تكون؟

- أنا العرش.....

- ما ذلك النور الذي شق هذا الظلام الدامس مرة أخرى؟..... من أنت؟ ما هذا النور الذي يشع منك؟

- أنا مفترق الطريق

- أي طريق؟

- طريق الحق والباطل

- أرى أن وجهك يشع منه نوراً أقوى من نور الشمس وقد أضاء أرجاء المعمورة، إلا أنني أرى أن شفاهك ذابلة؟ لماذا؟

- بسبب العطش

- العطش؟

- نعم

- لماذا؟

- لم أشرب الماء منذ ثلاثة أيام

- لماذا؟

- كي أدفع الثمن

- ثمن ماذا؟

- كي لا يظمأ أتباعي

- وأين هم أتباعك الآن؟.....نورك يزداد أكثر فأكثر لدرجة أني لا أستطيع أن انظر في وجهك!

- أتباعي سيأتون ولكنهم لن يجدوني

- لماذا؟

- لأنه سيقتلني

- من الذي سيقتلك؟

- العرش

- العرش؟ ولكن من أنت ؟

- أنا النور الخامس.....

هو بلسم الجراح

ورونق الأرواح

وخليلي في وحدتي

ومرشدي في ضياعي

وضيائي في ظلمتي

وسفينة نجاتي

وشراع سفينتي

ونجم اهتدائي

وشمس نهاري

وقمري عند حلكة واحتلاك الليالي

وسندي عند ميلاني

والبسمة التي تشق حزني

وحزني السرمدي

وحبي الأبدي

ونبضيَّ الذي لا يعرف الأمدي

هو حائي وسيني ويائي ونوني الأزلي

إن الإنسان بطبيعة الحال يمتلك قوة غير محدودة أبداً، حيث إن هذه القوة هي أساس تطور العلم الحديث وما وصل إليه العالم في هذا الزمن الحالي من تقدم في التكنولوجيا. هذه القوة أيها السيدات والسادة موجودة في كلٍ منا، ألا وهي

.....(الخيال).....

نعم... **الخيال** أيها السادة الكرام عبارة عن قوة خارقة هائلة يُقدم ويُحقق لك كل ما تريد، كمصباح علاء الدين بل وأكثر من ذلك. ولكن وللأسف الشديد هذه القوة (الخيال) متاحة- (فقط)- لمن يعرف كيفية عملها!...

يقول كل من المؤرخين والكتب القديمة إن هناك أُناسٌ كانوا يسيرون على الماء، والبعض منهم كان يطير والبعض منهم كان يعرف أين فلأن الذي يبعد عنه أميال وأميال ماذا يفعل وماذا يأكل بل وبماذا يفكر. وهناك آخرون قد سخّروا قوى الطبيعة لصالحهم. فمنهم من صار الحديد ليناً بين يديه كليونة الطين. وهناك من شق البحر وجعل كل فِرق منه كالطود العظيم. وهناك من يقرأ أفكار المقابل. وهناك من بإمكانه أن يقطع مسافات تصل إلى مئات الأميال ويعود إليك قبل أن تقوم وتقعد في مكانك، وهناك من يقطع مسافات تصل إلى مئات الأميال ويعود إليك قبل أن يرتد إليك طرفك، وهناك من إذا تم رميه في النار لن تمسه النار بسوء، وهناك من يتحكم بالريح، وهناك من يحوِّل التراب أو الحجارة إلى ذهب، وهناك من يمتلك عصىً إذا ألقاها على الأرض تحولت إلى أفعى تُبطل سحر السحرة، وهناك من تعلم منطق الطير، وسُخرت له الجن تخدمه وتصنع له محاريب وغيرها. والكثير من أولئك الذين امتلكوا القوى الخارقة بفضل الخيال أو بالأحرى بفضل معرفتهم بكيفية عمل (الخيال). وكل ذلك لن (وألف لن)

يكون إلا -بإذن الله- -سبحانه وتعالى-. والإيمان بالله وحده هو رأس خيط الحصول على كل ذلك.

في هذه الرواية سنستخدم (الخيال) الذي سينقلنا إلى لغز حيرَ العالَم وحير الباحثين وخصوصاً من له اهتمام بمعرفة تلك المدينة التي لطالما أحب صاحب الفضول "الإيجابي" أن يعرف ولو سراً واحداً من أسرارها. ألا وهي (مدينة اطلانتس) أو (اطلانطس).

في هذه الرواية سنعود إلى عصر اطلانطس الوسيط أي قبل عصرها الحديث الذي لطالما تحدث الباحثون عنه. أي أننا سنستخدم قوة الخيال لنتكلم عن هذه المدينة الغامضة ومع قصصاً حقيقية من الواقع ومن التأريخ على وجه التحديد لننسج منه رواية تتكلم عن تلك المدينة العجيبة في غموضها وعن بعض الوقائع التاريخية الحقيقية، وتلك الوقائع التاريخية التي تتكلم عن (النور الخامس).

مدينة اطلانطس وكما ذكرها الباحثين (المحققين في هذا المجال) هي عبارة عن أرض دائرية تتخللها سبع حلقات ما بين يابسة وماء. رغم أنها كانت في عصرها الوسيط إلا أنها تميزت بازدهار العلم والمعرفة فيها. وانتشار المكاتب في كل مكان فيها، كان همهم الوحيد هو الحصول على العلم رغم تقدمهم فيه. لقد كانوا كالنار كلما أطعمتها الحطب أرادت المزيد والمزيد. تميزت تلك المدينة بعمرانها الغريب ذو الهندسة التي قال عنها الباحثون كأن الفضائيون هم من بناها. شوارعها تزينت بمختلف المنحوتات والتماثيل ذات النحت الدقيق. لقد تميزت اطلانطس باستقرار أنظمتها من كل النواحي السياسية والصحية والتعليمية والاقتصادية... الخ.

ولكن كل ذلك كان مستقراً إلى أن أتى ذلك اليوم التي شهدت فيه مدينة اطلانطس تجمهر كل سكان مدينتها حول القصر. ذلك القصر الذي تسرّبت منه أخباراً مفادها أن ملك اطلانطس (سامان) والذي يسمى في سجل اطلانطس الملكي (سامان الحادي عشر). حيث تسربت من داخل القصر أخباراً مفادها أن ملك اطلانطس سامان على فراش الموت حيث يلفظ أنفاسه الأخيرة بسبب مرض طرحه الفراش. حيث عُرف عن الملك سامان بعدالته وولائه ونزاهته وحبه الشديد لشعب اطلانطس، وشعب اطلانطس بدورهم يكنّون له شديد الحب الاحترام... من داخل قصر ملك اطلانطس وتحديداً من داخل غرفة الملك المسجى على فراش موته والذي يوصي ولده الأمير (فردوس) وبصوته العليل لشدة مرضه وسقمه: يا بني المسكين (فردوس) أريد أن أوصيك بعدة وصايا، بعضها سأنطقها لك بلساني الآن والبعض الآخر سيأتي لك برسائل خبأتُها لك بين أُناس ستتعرف عليهم في ما بعد.

(فردوس) أميرٌ شاب في الخامسة والعشرين من عمره والذي فاضت عيناه الزرقاوان بالدموع التي سالت على وجهه الذي لا شك بأنه فلقة من قمر: أبي تماسك أرجوك.

ملك اطلانطس وحالته بازدياد نحو الأسوأ: إن حُكم اطلانطس من بعدي ليس لك كما تعلم بسبب الخونة من الوزراء من بلاط حكمي، الذين كشّروا عن أنيابهم وأظهر سوء نواياهم في أيامي الأخيرة، فلا قوة لي لردعهم بسبب تعلق ثلة من الشعب بهم بسبب نفاقهم بعد أن أظهروا طيب أعمالهم وستروا على القبيح منها، وقد تنشب حرب أهلية بسبب جهل شعب اطلانطس بخيانة الوزراء لي إذ ما أمرت بنفيهم، أو إبعادهم عن الحكم. لذا يا بني اهرب من العاصمة في الحال،

فهذا هو الحل الوحيد لك واخرج من ذلك الدهليز السري الذي هو خلف تلك المكتبة حيث إن (شعيب) التاجر هو من سيهرِّبك إلى خارج عاصمة اطلانطس، ستبدأ مهامك يا بني بعد أن يأخذك التاجر (شعيب) إلى حيث ما أوصيته.

قال شعيب الذي دخل غرفة الملك المسجّى على فراشه على عجالة من أمره وهو يحكم قفل باب غرفة الملك خشية أن يقتحم الخونة الغرفة ويقتلون من فيها: سيدي الأمير (فردوس) أرجوك أسرع، لنهرب في الحال فلا وقت لدينا. إن القوم يتآمرون عليك ويريدون قتلك.

ملك اطلانطس وهو يسعل بشكل هستيري: يا بني الوحيد والمسكين (فردوس) إعلم بأن مهمتك هي ليست استعادة حكم اطلانطس من الخونة فحسب، بل البحث عن قضية النور الخامس وإخفائها...

الأمير (فردوس): النور الخامس؟! من؟... ماذا تقصد يا أبي؟

ابتسم الملك سامان وأغمض عينيه ممسكاً بيد ولده (فردوس) حيث إن الأخير خفق قلبه واكتفى بكلمة: أبي...

لقد مات ملك اطلانطس (سامان الحادي عشر) مات وحيداً محاطاً بمجموعة وزراء خونة. للخيانة طعمٌ مر ولاذع. وله ثقل تشفق من حمله حتى الجبال الرواسي. مسكين من تعرض لها، وألا تباً للذي نسج خيوطها الخبيثة. ولكنه نَسِيَ أنه ما طار طير وارتفع إلا ويوما كما طار وقع، فإنه ذات يوم لا بد وأن يقع بخيوط الخيانة التي نسجها بيديه. وهو مسكين أيضاً إذ إن ما سيتعرض له

ذات يوم من انكسار أشد مما تعرض له ذلك الذي تمت خيانته مسبقاً. لأن يوم المظلوم على الظالم أشد من يوم الظالم على المظلوم.

لقد خرج كل من التاجر شعيب والأمير فردوس بن سامان الحادي عشر ذلك الأمير الذي كان يجب أن يتم تنصيبه بعد ثلاثة أيام من وفاة والده. ولكن حال دون ذلك هو مؤامرة وخيانة الوزراء من بلاط الحكم. حيث خرج الأمير فردوس مع التاجر شعيب من دهليزٍ سري كانت بابة السرية خلف مكتبة الملك الراحل سامان الذي كان على علم بأنه ستتم خيانته ذات يوم، لذا قام بوضع هذا الدهليز السري والذي يوصل ما بين غرفة الملك من القصر إلى خارج أسوار القصر نفسه. حيث كانت هناك جياد بانتظارهم استأمنها التاجر شعيب لدى أحد حراسه والذي يدعى صخرا.

التاجر شعيب وعلى عجالة من أمره: حسناً يا صخر، اذهب وعش حياتك إلى أن أرسل لك أحدهم يدلك على اجتماعٍ لنا عما قريب.

صخر: سيدي، أرجوك دعني أرافقك بمهمتك هذه.

انطلق كل من الأمير والتجار شعيب الذي قال لـ(صخر): إن مهمتك تقتصر على بقائك هنا يا بني.

صخر: في حفظ الله يا سيدي.

لقد انطلق كل من الأمير والتاجر شعيب على جيادهم انطلاق الفريسة التي علمت بأن في هروبها هذا هو نجاة لها من موت مؤكد. يا الانكسار الذي تعرض له الأمير...

"هو انكسار مؤقت لا أكثر... انكسار سيُعلمك الكثير... ولكن يجب ألا تُلدغ من الجحر مرتان"

عيون زرقاء

الأمير فردوس يقطع الصحراء القاحلة العملاقة (سلتار) وهي أكبر صحاري اطلانطس مع التاجر شعيب على جواديهما. كان الأمير محنياً الظهر لدرجة أن جسده كان مقوساً، كأن جسده القوس الذي يريد إطلاق السهم في لحظاته الأخيرة، وبالكاد كان يمسك بلجام حصانه منكسراً مندهشاً بسبب الأحداث التي جرت عليه بالأمس. فقال بصوت كصوت عليلٍ ألم به شديد المرض وبالكاد قد سُمع صوته وهو يقول: شعيب...

التاجر شعيب الذي كان يسير بحصانه بجانبه: فداك شعيب يا سيدي.

الأمير فردوس بانكسار: أخبرني ما الذي جرى بالأمس. فما عاد رأسي قادر على تفسير ما حدث.

التاجر شعيب: سيدي لا أعلم من أين أبدأ معك. ولكن كل ما حدث كان والدك - رحمه الله- على علمٍ بأنه سيحدث. فلأجل هذا اليوم كان يخفيك عن أنظار البلاط وإذا حدثت مناسبة ما وكان يجب أن تخطب بالشعب كان يتعمد أن يبالغ بتزيين زيك الملكي بالحلي والجواهر كي يخفي ملامحك عن الشعب والحكومة. وكان يتعمد أن يضرب ستاراً بينيك وبين والوزراء وغيرهم من أصحاب المناصب العليا في الحكم إذا ما صار هنالك اجتماع خاص أم عام. لذا فإن قابلك أحدهم اليوم وبردائك هذا لن يتعرف عليك أحد.

الأمير فردوس: ولكن كيف علم والدي بأن هناك من سيخونه ذات يوم؟

شعيب: لقد ذكرت كتب التنجيم ذلك يا سيدي. تلك الكتب التي تتنبأ بالمستقبل، تنبّأ أحد تلك الكتب بأن سليلاً من سلالات ملوك اطلانطس سيتعرض لخيانة هي الأولى بتاريخ حكم اطلانطس حيث ذكر ذلك الكتاب أوصافاً تنطبق على والدك الراحل. والحل الوحيد لذلك الملك هو أن يهرِّب ولي عهده وولي عرش اطلانطس آنذاك إذا ما أراد من وليَّ عرشه أن يستعيد العرش مجدداً ويقتل كل الخونة. لذا طلب مني التحرك بتجارة وهمية وهي أن أُرسل قافلة تجارتي إلى الصين وأن أبقى سراً في اطلانطس دون علم أحد من بلاط حكمه الذين كان يشك بأن الخيانة ستصدر منهم. وقد أعلمني إذا ما حدثت ساعة الصفر فغنه سيرسل لي إشارة أتسلل بعدها إلى القصر لأهربك من القصر عبر الدهليز السري الذي هربنا منه.

الأمير فردوس: ولكن أين تلك الكتب التي ذكرت أمر الخيانة؟ أرجوك لا تخبرني بأنها بقيت في القصر؟

التاجر شعيب: لقد كان والدك -رحمه الله- حكيماً فطناً بل وثاقب الحكمة، لذلك أخفاها عند أحد أعوانه وسأعطيها لك حالما نصل إلى هناك.

الأمير فردوس: إلى هناك؟ إلى أين؟ هل هناك وجهة ما نقصدها يا شعيب؟

أوقف التاجر شعيب حصانه وطأطأ رأسه وقد بأن شديد الحزن والأسف على وجه. استغرب الأمير فردوس من ذلك الوضع الذي أصبح التاجر شعيب عليه لأنه كان يجهل سره، حيث قال الأخير بعد أن أوقف حصانه أيضاً: شعيب؟! لقد أقلقتني، هل وجهتنا تلك تسبب لك مثل هذا الحزن الشديد؟!

شعيب: يا نور عين شعيب، وجهتنا يا سيدي هو إلى قصر كبيرة التجار مرجان.

الأمير فردوس: مرجان؟! أعتقد بأنها صاحبة أكبر تجارة في مدينة اطلانطس. وغير ذلك لا أعلم عنها شيء آخر.

شعيب: سيدي إن السيدة (مرجان) هي ربيبة والدك -رحمه الله- وهي ابنة أحد وزرائه سابقاً، توفي ذلك الوزير ليستأمن مرجان عند والدك. منذُ أن كانت طفلة صغيرة كان والدك يعتني بها وبعد أن بلغت أشُدها علمها التجارة وأهداها قصراً لتعيش فيه وتستمر في عملها في التجارة، وهي بمثل عمرك يا سيدي.

الأمير فردوس: ولكن ما الهدف من ذهابنا إلى قصر مرجان؟ ولمَ يسبب لك كل ذلك الحزن؟!

شعيب مطأطئ الرأس: سآخذك إلى هناك يا سيدي لتعمل في قصرها وتحديداً ستعمل مع الخدم في قصرها، أي أنك ستنتحل شخصية غير شخصيتك هذه، فلن يبحث الخونة عن الأمير فردوس بين الخدم.

اسودت الدنيا في عيني الأمير فردوس عندما سمع ذلك. حيث خاطب نفسه بعد أن أغمض عينيه من على فرسه: حسناً يا فردوس... أم تريد أن أناديك أيها الأمير فردوس؟ أم الخادم فردوس؟ من ولي لعرش مدينة اطلانطس التي تميزت بازدهار كل نواحيها بفضل الله تعالى الذي منَّ على كل أجدادي الملوك من أول ملكٍ لاطلانطس مروراً بـ(سامان الأول) إلى أن انتهت بـ(سامان الحادي عشر) الذين لهم من الحكمة والحنكة ما جعل من تلك المدينة تمتلك أكبر وأفضل نضام اقتصاد في العالم. إلى أن حان دور حكمي فبدلاً من أن أجلس على العرش

سأعمل خادماً، وعند من سأعمل خادماً؟ عند من كانت ربيبة والدي الذي علمها التجارة وأهداها قصراً ليأتي القدر ويُلبسني ثياب الخدم. ليس اعتراضاً على أمرِ الله احكم الحاكمين ولكن أن تكون ولي عرش اطلانطس ثم في ليلة وضحاها تجد نفسك خادماً عند الذي كان يجب أن يكون إحدى رعاياك أمر ليس بالهين. ولكن ما عَسَايّ أن أفعل.

بعد مضي ثلاثة أيام من دخول الأمير والتاجر إلى صحراء (سلتار) حيث فقدا جواديهما ولم يريا لها أثرا بعد استيقاظهما صباح اليوم الثالث، لذا اضطرا لأن يكملان بقية الطريق سيراً على الأقدام. نفدت مؤونتهما من الطعام والماء وأصبح الأمر صعباً وشاقاً عليهما. وقد زاد الأمر سوءا عندما سقط الأمير فردوس مُغْمَى عليه بسبب الجوع والعطش والتعب الذي لحق به، رأى شعيب من بعيد سوادة تتجه نحوه فأخذ رداءً وبدأ يُلوِّح به لتلك السوادة في طلب المساعدة...

"رحلة الألف ميل تبدأ بتفاحة صغيرة"

لطالما قالوا بأن رحلة الألف ميل تبدأ بخطوة واحدة. لم يكذب القائل! إذ إن آلاف الأميال تبدأ بخطوة صغيرة، إلى أن تصبح تلك الخطوة قصة حياة خاسر من لا يعتبر منها.

فقبل أن أُصبح أحد قطاع طرق صحراء سلتار العملاقة، كنت ابن حسب ونسب، بل كنت ابن أحد أشهر التجار في اطلانطس. إلا أن ذلك التاجر الذي هو والدي قد أصيب بمرض طرحه الفراش وما هي إلا أيام قلائل حتى علمت أنا ابن العشر سنوات أن ذلك المرض الذي أصاب والدي لم يكن إلا مركباً كان مُعداً له لنقله من عالم الحياة إلى عالم الممات. ليجعل مني يتيم الأب، وقد تمنيت لو أني أصبحت يتيم الأب فقط. بل لم يمض سوى يوم واحد فقط حتى أصبح يُقال عني أني يتيم الأبوين، لأن والدتي لم تتحمل مرارة فقدان زوجها فلحقت به لتبقيني وحيداً فريداً. فها أنا وقد صرت الورقة الوحيدة في شجرة العائلة، فوالدي كان وحيد أهله وأُمي كانت كذلك لأهلها.

كفلني رجل من نفس العشيرة التي كنت منها، عندما كنت ابن عشرة أعوام. إذ إن والدي قد ترك ثروة طائلة ثروة من الصعب عدها، من مواش وأراض زراعية وعشرات منازل استئجار للناس مقابل ثمن، فضلاً عن القوافل التجارية. كل ذلك كان إرثا من والدي لي. إلا أن كافلي كان يخشى أن أبلغ سن الرشد وأطالبه بالإرث الذي هو من والدي فقام كافلي بطردي من منزله، وهكذا أصبحت مشرداً. تارة آكل الخبز وما أجده صالحاً للأكل من القمامة، وتارة أخرى يتصدق عليّ الناس مما يخرج من خاطرهم. وذات يوم اشتد بي الجوع

الشديد، بحثت عن شيء اسد به جوعي ولكن كنت عبثاً ابحث إذ لم أجد شيئاً لأسكت به صراخ معدتي. وعندما كنت أتجول في سوق مدينة هكتار وأطلب الطعام من محال الفواكه والخضروات والأفران كان طلبي يُردّ بالرفض والزمجرة من أصحاب تلك المحال. لقد درست جميع الخيارات التي من شئنها أن تسدّ جوعي الذي بدأ يتحول إلى حرارة ملتهبة في بطني الصغير فلم أجد سوى خياراً واحداً

.....وهي السرقة!.....

نعم السرقة من شئنها أن تلبي طلب معدتي التي كانت تغني بأعلى صوتها. لذا ذهبت إلى إحدى محال الفواكه وبينما كان صاحب المحل مشغولاً بتلبية طلبات زبائنه استطعت وبسرعة كبيرة وبفضل الأدرينالين وبحركة خاطفة فاجئتُ بها حتى نفسي أن أسرق تفاحة حمراء صغيرة بعض الشيء دون أن يراني أحد وهربت بها بسرعة وأنا ممسك بتلك التفاحة، كنت أجري وأجري وكأن كل الناس بدأت تلاحقني بسبب ارتباكي وخوفي، بل كنت أجري بسرعة تقارع سرعة الفهد لأن هذه المرة الأولى التي أسرق بها. وبسبب هذا الأمر شعرت أن سوق اطلانطس كله بدأ يلاحقني لأجل تلك التفاحة الصغيرة. رغم أن لا أحد منهم فعل ذلك، وقد زادت ضربات قلبي وبدأ يخفق بقوة حتى نسيت الجوع كلّياً. وعندما انفردت لوحدي بدأت أنظر للتفاحة التي سرقتها بإعجاب لأن منظرها كان مبهراً حتى فكرت أن أحتفظ بها إلا أن الجوع قد تغلب عليّ فأكلتها عن آخرها بشراهة لا توصف.

ولكن لم أكن أعلم بأن سرقتي للتفاحة الصغيرة تلك، كانت هي خطوتي الأولى لأصبح سارقاً ماهراً بحق. إذ ما عدت أمنع نفسي عن السرقة، فعندما خطوت تلك الخطوة الأولى، صار من السهل أن اسرق ثم أسرق ثم أسرق حتى أصبحت السرقة التي خفق قلبي خوفاً منها بالأمس، شيئاً عادياً بالنسبة لي اليوم. ففعلاً كما يُقال رحلة الألف ميل تبدأ بتفاحة صغيرة ..... أقصد بخطوة واحدة.

مضت الأيام والأشهر والسنين حتى صار عمري خمس عشرة سنة، وتطورت مهاراتي في السرقة، فإحدى مهاراتي التي أُتقنها في السرقة هي أن أُصطدم بالناس عمداً وقت الزحام في الأسواق وهكذا ومن دون أن يشعروا بذلك حتى أسرق من جيوبهم الأموال وبسرعة خاطفة وخفة يد دون أن يعلموا ودون أن يشعروا بذلك وأضعها في جيبي. لقد نجحت هذه المهارة مع كثير من الناس الذين سرقتهم. إلا مع رجل واحد فقط وقد استطاع إمساك يدي التي تغلغلت في جيبه حيث قال لي وبثقة عمياء ومخيفة: ويحك يا ولد، أوَ تحاول سرقة كبير اللصوص؟

عندما قال الرجل ذلك الكلام لي ونظراته الحادة كأنها تريد أن تخترق عينيَّ أُصبت جراء ذلك الأمر بالرعب الشديد. فرغم خبرتي في المراوغة والاحتيال إلا أنني قد نَسِيتُ أن لي لساناً، فما عدتُ أستطيع أن أنتقي الكلمات المناسبة لأُدافع بها عن نفسي أمام هذا الرجل الغريب الذي ما زال ممسكاً وبقوة بيدي التي ما زالت في جيبه. تساءلتُ ما العمل؟ وما الحيلة؟ خنقتني العَبرة بسبب الوضع الذي كنتُ فيه فقد كنتُ خائفاً كثيراً. فهذا الرجل يبدو جاداً وليس من السهل أن يسامحني لمحاولتي سرقته. خرجت من فمي دون أن أشعر كلمات تحمل بين حروفها الكثير من البراءة، وبدأت دموعي بالتساقط على الأرض

بعدما ضربت طريقاً رطباً على خديَّ دون أن أشعر بذلك عندها قلت للرجل: يا عم، أرجوك اتركني. فأنا يتيم ولا أحد لي كي يطعمني الطعام لذا التجأت إلى السرقة. اتركني أرجوك ولن أكررها صدقني.

أرخى الرجل قبضته قليلا عن يدي التي ما زالت في جيبه، وأحسستُ أن الدم عاود الجريان في عروقها بعدما كانت مغلقة بفعل قبضة الرجل القوية. قادني الرجل من يده إلى خارج السوق الذي لطالما كنت أسرق المارة فيه لينفرد بي عن أنظار ومسامع الناس لأنه على ما يبدو كان يرد أن يفاتحني في أمر خاص جداً. جلسنا في ظل بقايا إحدى البيوت التي حطمها الزمن الذي كان يمر عليها بثقله وجريانه. قدّم لي طعاماً وبعضاً من النقود التي حاولت سرقتها منه قبل قليل. وبعد أن انتهيت من تناول الطعام الذي لم أهنئ به بسبب أن الرجل كان يراقبني باستمرار عند تناولي الطعام، حيث قال: ما اسمك أيها الفتى؟

وبتلعثم أجبت: اسمي ... اسمي هيصم

فقال الرجل بعد أن أطلق ابتسامة غريبة: أو تعلم ما معنى هيصم؟

هيصم: في الحقيقة لم أتطرق لهذا الأمر سابقاً

الرجل: إن معنى الهيصم هو الأسد يا بني

وبكلام يحمل نوعاً من الألم لدرجة أني أذرفتُ دموعيّ التي سرعان ما سالت على خدي دون أن أشعر قلت بتجهم: وما الفائدة من ذلك، إن كان يعيني الأسد أم غيره، فما أنا إلا يتيم ومشرد حقير تارة أسرق وتارة هناك من يتصدق عليَّ

ببعض الطعام أو ببعض بقاياه. فهل سيغنيني معنى اسمي من جوعٍ أم يحميني من برد؟

ولدَ صمت عُمره ثلاث دقائق بيننا، فقال بعد أن تغيرت قسمات وجهه والتي باتت تدل على أمر ذي جدية كبيرة وخطيرة: اسمعني يا بُني، في الحقيقة كنت أراقبك مُنْذُ فترة هنا، وكنت معجباً بحركاتك الخفيفة ومهارتك في السرقة. لذا ما رأيك أن تنظم إلى عصابتي، نحن مجموعة من قطاع الطرق في صحراء سلتار، قد تتغير حياتك نحو الأفضل إذا ما انضممت إلينا، ما رأيك؟

وبعد عشرة أعوام من انضمامي لعصابة قطاع الطرق في صحراء سلتار، وبسبب مهارتي في استخدام السيف ورجاحة عقلي التي أعجبت قائد المجموعة جعل ذلك الأمر مني نائباً للزعيم. ثم إلى زعيم العصابة بعد أن توفي الزعيم الذي كان يرأسنا.

ثم بعد ذلك علمتُ أن الرجل الذي تولى كفالتي عندما كنت طفلاً صغيراً، ذلك الرجل الذي سرق مني إرث والدي، علمت بأنه قد "نفق" بعد أن خسر بتجارة خسارة جعلته يفقد كل الأموال التي أخذها مني وكل الأملاك التي حصل عليها.

مضى أكثر من أربعة أشهر من سرقتنا لآخر قافلة تجارية كانت تشق صحراء سلتار لأجل أن تختصر الطريق لوجهتها المحددة. إذ أوشكت الغنائم التي حصلنا عليها من النهب والسلب من القوافل التجارية على النفاد، وكاد أن يطول بنا هذا الوضع البائس ولكن حال دون ذلك الوضع هو عندما جاء أحد رجالي مُبشراً إيانا بأنه قد رأى سوادة في وسط الصحراء، حتى هرعنا إليها كما يهرع إلى الهواء الذي نجى من الغرق. حيث كان عددنا عشرة فرسان. إذ رأينا أحدهم

وهو يلوِّح لنا بقطعة قماش طلباً في المساعدة. وعندما وصلنا إليه تبيّن لنا أنه رجل كبيرٌ بالسن وكان يحتضن شخصاً مُغْمَىً عليه وكان ملثماً وقايةً من حرارة الشمس. والظاهر أنه قد أُغمي عليه بسبب الجوع والعطش بعدما نفدت مؤونتهما. إذ امتلأ قلب ذلك الشخص الكبير خوفاً ورعباً منا. فعندما وصلنا إليه سرعان ما صنعنا دائرة حولهما.

عندها قلت مخاطباً رجالي: يا رجال فتشوهما وخذا كل ما لديهما واقتلوهما واتركوا جثثهم هديةً لوحوش الصحراء.

فقال الرجل الكبير بالسن: يا هذا... إنك ميت وهم ميتون وهذه الدنيا لن تدوم لك مهما طال عمرك وقوي سيفك وازداد عدد أتباعك، فلتعلم ما الدنيا إلا دنيا، ولقد سُمِّيَتْ دنيا لأنها حقاً دنيا، اليوم لك وغداً إن لم يكن لنا فسيكون لجبارٍ عليك ذو قوة أقوى من قوتك ويقتلك شر قتلة.

ضحكت ضحكة قوية فقلت: صدقني أيها العجوز كل الضحايا الذين كنت أسلبهم أموالهم كنت أسلبهم أرواحهم بعد أن أسلبهم أموالهم، لذا لا تتعب نفسك، ولكن ليكن بعلمك بأنك ضحية مختلفة عن نوعها إذ إنك تتميز بمنطق جميلة كلماته.

جاءني أحد أفراد عصابتي ممن قام بتفتيش التائهين: سيدي انظر لقد وجدت معهم ما يقارب الخمسمائة ألف درهم، في هذا الكيس المطرز بنقوش لم أر مثلها سابقاً.

أخذت كيس الدراهم دققت النظر بالكيس وقد رأيت نقوشاً جميلة وبجانبها خُطَّ عليه كلمة (شعيب). نظرت إلى الرجل العجوز بطرف عيني وقلت: هل اسمك شعيب؟

الرجل العجوز: نعم أنا أدعى شعيب.

هيصم: لا أعلم من تكونان من أين قدمتم؟ ولكن أنا على ثقة بأنكما تملكان مكانة لا بأس بها بين حكومة اطلانطس. ولكن هذا لا يمنعني من قتلكما، وقبل ذلك لا بد وأن تكشف لي أيها العجوز عن لثام صاحبك قبل أن أقتلكما.

كشف أحد اللصوص اللثام الذي كان يُخفي وجه الشخص الفاقد لوعيه ليصدمنا جميعاً بوجهه الذي كأنه البدر ليلة خمسة عشر وله من الجمال والحسن ما قال عنه الشاعر:

تنازل الجمالُ عن الجمالِ لجمالك ** * * فزاد جمالك على الجمال جمالاً[1]

انبهرنا لجمال وجه ذلك الشخص ذي الطلعة التي لم نرى مثيلاً لها. عندها قالت في قرارة نفسي: ما هذا؟... يا إلهي أمَلَك أم أنس هذا؟ أم أن الخيال قد جسد مثل هكذا جمالاً على أرض الواقع؟... وهل للخيال القدرة على صنع هذا الوجه الحسِن؟!... ليس من المعقول أن أقتل شاباً جميلاً كهذا الشاب... التفتُ إلى شعيب: أنت أيها العجوز سأتراجع عن عادتي ولن أقدم على قتلكم ولكم مني أن أخرجكم من هذه الصحراء التي قد تجعل منكم طعاماً لوحوش هذه الصحراء القاحلة. ولكن أخبرني مالي أرى صاحبك ذا الوجه الملائكي فاقداً وعيه؟

---

[1] مجهول

شعيب: سيدي لقد نفد كل ما لدينا من طعام وشراب، فهلا أعطيتني بدل ما أخذتم منا من تلك الدراهم ماءً وطعاماً؟

كبير اللصوص: حسناً، حسناً... أعطوهم طعاماً وشراباً وساعدوا العجوز بإيقاظ هذا الشاب ليسترد وعيه.

استعاد ذلك الشخص وعيه بعد أن رشقوا وجهه برذاذ الماء وشرب بعضاً من الماء وأكل بعضاً من الطعام حتى استعاد قواه. ولكنه بمجرد أن استعاد وعيه حتى ازداد إشراقاً وجمالاً أكثر ليبهرنا أكثر بجماله بعد أن استعاد قواه بالكامل.
عندها قال شعيب: بني فردوس هل أنت بخير الآن.

فردوس وبعينين زرقاوين حزينتين: نعم يا شعيب أنا بخير الآن.

عندها قلت آمراً رجالي: يا رجال ليتقاسم أحد منكم فرسه مع هذا العجوز ولنساعدهما على اجتياز هذه الصحراء.

ركب شعيب مع أحد رجالي بعد أن قاسمه فرسه، في حين ركب الشاب فردوس معي.....

جبينٌ أزهر

لقد عُرف عن الأمير فردوس ذو الخمسة وعشرين ربيعاً بأنه أميرٌ ذو ثقافة فذة أميرٌ زاهد عابد متواضع طيب القلب قارئ لمختلف الكتب، فضلاً عن جماله المفرط. وكأنه قد خُلق كما يريد، فلقد صُب بقالب من الجمال وحدث ولا حرج بوصف جماله. إذا خطب في شعبه في إحدى المناسبات الخاصة باطلانطس يلهم الكثير من شعبه بحب الإنسانية، يؤثر فيهم، ومن استمع لخطبه يرجع إلى نفسه ويتفكر في خلق الله، حتى سُمي خطيب اطلانطس. ولكن ورغم كل ذلك لم يرَ أي من شعب اطلانطس وبلاط الحاكم الراحل سامان وجه الأمير فردوس إذ كان الحاكم يتعمد أن يخفيه خلف ستار خاص لا يُرى منه سوى ظله. ولكن الملك استثنى من ذلك بعض الوزراء والمستشارين والتجار الذين يحضون بثقة عالية لدى الملك الرحال سامان. لأن الملك وبحسب كتب الكهنة والمنجمين والمخطوطات التي تكلمت عن مستقبل اطلانطس علم بأن هناك مؤامرة ستحاك ضده من قبل بعض الوزراء الذين سيختبئون تحت قناع الولاء. لذا فأنه قد رأى أن من المناسب أن يختفي ولده الأمير فردوس ولي العرش من بعد الملك سامان إلى أن يختلف الخونة في ما بينهم لتضعُف قواهم ويضرب الأمير فردوس ضربته القاضية ويستعيد العرش من جديد. لقد كان التاجر شعيب والملك سامان صديقين مقربين من بعضهما كثيراً حيث إن الملك قد أعلم التاجر بما سيحدث وأوصى التاجر بما عليه أن يفعله...

بعد أن أوصل قطاع الطرق كلاً من الأمير فردوس والتاجر شعيب إلى نهاية الصحراء، وتفرق الفريقان كلٌ بحال سبيله. طلب التاجر من الأمير أن يتلثم ويدخلان في سوق مدينة (هيكتار) وهي إحدى المدن التابعة لـ(اطلانطس) وهي

ذاتها المدينة التي يقع فيها قصر السيدة مرجان والتي سيعمل الأمير فردوس خادماً عندها، أي أنه سيتخذ من قصر السيدة مرجان مخبأً له حتى حين...

الأمير فردوس: حسنٌ يا شعيب، ها أنا قد تلثمت وماذا بعد؟

نظر التاجر شعيب إليه، ولم يجد من اللثام أي فائدة، فمثل اللثام كمثل الأفق الذي قد بزغ منه قرص الشمس، فما ظهر من اللثام تلكما العينين الزرقاوين التي يُرى الكون فيهما، واللتان يفصل بينهما أنف بجماله يفضح معالم وجهه الذي تستر بهذا اللثام، فقال التاجر: هل أنت متأكد بأنك قد تلثمت؟... والآن سنتجول في السوق قليلاً، هناك أموال قد أودعتها لدى أحد التجار الذين أعرفهم في هذا السوق. سيدي الأمير هل تعلم أن للسيدة مرجان ثلثي هذا السوق! إن لها ثروة مأهولة.

التاجر شعيب وبأمواله التي استأمنها عند أحد معارفه من التجار، حيث حسب حساباً لقطاع الطرق في تلك الصحراء (سلتار) وخمن بأنهم ذات يوم لا بد وأن يسلبوه كل أمواله. فبأمواله قد استحم وكذلك الأمير فردوس ليزيلا عنهما غبار السفر، واشترى التاجر لنفسه ثياباً تم صنعها من أثمن وأغلى وأجود أنواع الأقمشة مع عمامة مزركشة وعباءة لا يرتديها إلا الملوك وحواشيهم من الوزراء. ثم اشترى سيفاً ذا منظر مهيب. ثم اشترى له فرساً تبارك الله أحسن الخالقين فيها، فرس أصيل ومن النوع النادر. تعطر وتزين، ولا كأن سفر الأمس قد أخذ منه مأخذا. ولكن وبما أن مهمة التاجر شعيب هي إخفاء الأمير فردوس حتى حين تحتم عليه أن لا يشتري للأمير فردوس غير ثيابٍ تدل على أنه عبد قد أحضره التاجر شعيب معه لبيعه في مدينة (هكتار). من المعلوم أن

الثياب الغالية والتي صنعت من أجود وأثمن أنواع الأقمشة هي التي تزين صاحبها. ولكن عند الأمير فردوس قد انقلبت الموازين، حيث إن الأمير هو من زين ثياب العبودية التي ارتداها.

التاجر شعيب مطأطأ الرأس خجلاً من الأمير فردوس: سيدي الأمير... في الحقيقة يعز علي أن أشتري لنفسي غالي الثياب ولك رخيصها... قال ذلك وعض شفتيه وشد قبضتا يديه ندماً وحسرة...

الأمير فردوس وبابتسامة مصطنعة يمكن أن يرى من خلالها الانكسار: شعيب، لا تطأطئ رأسك وهون عليك، إذا كان ما أنت مقدمٌ على فعله قد يكون فيه صلاح اطلانطس والحفاظ عليها من الضياع فلا بأس للأمير فردوس أن يتجرع كأس المرارة.

أثناء سير الأمير والتاجر إلى قصر السيدة مرجان دارت أحاديث بينهما بعضها تجر البعض الآخر، من جملة تلك الأحاديث قال فردوس: شعيب، لا بد من أن أبي قد وضع لي اسماً يناسب عملي عند ذلك القصر الذي نحن نقصده الآن، اسماً سيناسب اختفائي عن الأنظار.

شعيب: هذا صحيح يا سدي، سيكون اسمك البديل في فترة اختفائك هو (ياقوت).

الأمير فردوس: أنت من اختار هذا الاسم مع والدي، أليس كذلك؟

شعيب مبتسماً: هنيئاً لـ(سامان) بك يا بني، حتماً أنت منقذ اطلانطس من خراب يهددها منذ سنين. نعم يا بني أنا هو من عرض هذا الاسم على والدك -رحمه الله-.

الأمير فردوس: إذاً اسمي من الآن فصاعداً سيكون (ياقوت). الأمير الغائب والمسلوب عرش اطلانطس الذي في ليلة وضحاها تحول من أميرٍ إلى عبدٍ سيحتقره شعبه، بعد أن كانوا يتمنون أن يروا وجهه ولو لمرة واحدة... يا شعيب، إن أولئك الوزراء الخونة الذين قد وثق بهم أبي قد غرسوا خنجراً بخاصرتي سأتألم منه -ليل نهار- بخيانتهم هذه... يا شعيب إن ما يُبنى على الخيانةِ سينتهي على خيانة. وستكون للذي أسس تلك الخيانة أبشع مما أسس. نعم قد تكون لكل قاعدة شواذ إلا هذه القاعدة قد شذت ولن تنكسر أبدا. من صنع كأس مرارة لأخيه سيجرعها الصانع بكأسٍ أمرّ منها. والويل الويل له يا شعيب الويل الويل له. لو علمَ بماذا قد أجنى على نفسه. فما الذي دفهم لخيانتهم هذه؟ هل لخطأ قد ارتكبناه أنا ووالدي عند تولينا الحكم؟ أم أن الشعب قد اشتكى من معاناة سببناها له. إن حب الرئاسة هي إحدى زينات الدنيا وسرابها للمتعطش للرئاسة، والسراب حتماً لا وجود له كما تعلم. مسكينٌ ذلك الشعب الذي سيحكمه ثلة فاسدة. فرغم ثرواته إلا أنه سيشكو النقص من كل النواحي. فالحكام الفاسدون سيبنون القصور وشعبهم بلا مأوى، سيرتدون أفخر الثياب وشعبهم عراة، سيأكلون ألذ الطعام وأطيب الشراب وشعبهم يموت جوعاً. سينامون على أُرِيح الأسرة وشعبهم يفترش الأرض للنوم... صمت الأمير قليلاً ثم أردف وقال: سيدي شعيب اركب فرسك وأنا سأسير خلفك فقد اقتربنا من القصر... وها أنا سأتلثم.

قال شعيب ندماً: سيدي يعز عليَّ ذلك.

ركب شعيب التاجر على فرسه وسار نحو القصر المقصود وسار الأمير فردوس خلفه. أحد حراس القصر هرول نحو التاجر وقال: كبير التجار شعيب! أهلا بك يا سيدي كيف حالك، ولكن أين قافلتك لمَ لا أراها معك.

التاجر شعيب: أهلا بك أيها الحارس، قافلتي لن تأتي اليوم. والآن افتح باب القصر لي وانطلق وأخبر السيدة مرجانا بقدومي.

انطلق حارس بوابة القصر ليُعلِمَ السيدة مرجانا بقدوم التاجر شعيب. وأثناء ذلك إذ دخل كلاً من التاجر والأمير إلى القصر حيث كانت باحة القصر ذات مساحة لها من الحجم حدث ولا حرج، وتقسم إلى قسمين، قسماً لاستقبال القوافل التجارية للتصدير والاستيراد، والقسم الآخر من باحة القصر مخصص للقصر نفسه. وصل كل من التاجر والأمير فردوس إلى باب القصر الداخلي. عبر طريق تم رصفه بمرمرٍ يحسبه الناظر لُجة.

خرجت من القصر فتاة عشرينية كاملة الجمال والاعتدال وفريدة الخصال وهي تحيي التاجر شعيب: أهلاً بكبير التجار شعيب، أهلا بالأب الثاني لي، أهلاً بشعيب بعد هذا الغياب الطويل.

شعيب: أهلاً بجميلة اطلانطس أهلا بالسيدة مرجان.

مرجان: جعلها الله خاتمة الأحزان.

جلس كلٌّ من التاجر شعيب والسيدة مرجانا في أحد المقاعد المتواجدة في حديقة القصر، تلك الحديقة التي تحتوي على أنواع وأصناف الطيور وأشجار الفواكه

المختلفة وكانت الحديقة مزينة بأنواع الزينة. في حين أبقى التاجر شعيب على فردوس خارج الحديقة لينتظر كالخادم المتواضع الممنون.

شعيب: أراهن يا مرجان بأن ألذ الطعام وأطيب الشراب لم يدخل ثغركِ منذُ أن سمعتي بحدوث الفاجعة.

مرجان: شعيب، أرجوك أخبرني بأن كل شيء كان كابوساً مرعباً. أرجوك أخبرني بأني كنت أهذي، وأن الملك لا يزال حياً.

شعيب: يا مرجان، لو كان بالإمكان ذلك لأقنعت نفسي قبل هذا.

مرجان: رحمه الله، الملك سامان كان كالأب الحنون لي بعد أن فقدت والدي. ما زادني حزناً وألماً أكثر هو أني لم أستطع الذهاب لتشييع جثمان الملك الراحل بسبب أنه طلب ذلك مني سابقاً، واستغربت طلبه ولم أعرف سبب هذا الأمر الغريب والذي له من الغرابة ما أفقدني لذة النوم والطعام.

شعيب وقد واغرورقت عيناه بالدموع، وقد شدَّ على قبضتيه ونظر للأمير فردوس وقال في قرارة نفسه: لقد خطط الملك لهذا الأمر، فقد أبقى على مرجان في قصرها كي تشتري الأمير فردوس مني بعد أن منعها من الذهاب لتشييع جثمانه، أنا أتساءل كيف استطاع قلبه ذاك أن يتحمل مرارة ما علم به بأنه سيحدث ذات يوم؟... كيف؟

مرجان بعد أن أمالت رأسها لتنظر لوجه شعيب الذي شرد ذهنه: إلى أين شردت يا شعيب، ثم لماذا تنظر لذلك الرجل الذي لا أعرف من يكون حتى الآن، إلا أن

وقوفه هذا يدل على أنه شخص مُحترم رغم ثيابه الرثة والبالية. ولكنه يبدو لي بأنه قد تعمد إخفاء ملامح وجه بذلك اللثام حتى الآن.

شعيب مبتسماً جراء مدح مرجان للأمير فردوس، فقال عند ذلك: نعم يا مرجان أنا من طلب منه أن يتلثم... صمت قليلاً... ثم أردف وقال: اسمعيني يا مرجان إن ذلك الشخص الواقف هناك هو خادمي الخاص وقد أحسن خدمتي كثيراً، ولم أسمعه يضجر أو يتذمر يوماً، ولكنه قد تعب بسبب كثرة الانتقال معي من مكانٍ لآخر لذا سأبيع عقد خدمته لك. ليعمل هنا في قصرك وأنا متأكد بأن أجواء القصر ستتغير نحو الأحسن بسببه، و.....

تقاطعه مرجان بندائها لـ(فردوس): تعال إلى هنا يا هذا.

نظر لها فردوس الذي كان واقفاً عند باب الحديقة. فردوس الملثم بلثام أبيض أخفى معظم معالم وجهه، كانت كلاً من عينيه وحاجبيه وقليلاً من جبينه ظاهرة من اللثام، تلكما العينين الزرقاوين البراقتين والنظرات الدافئة الهادئة، وحاجباه اللذان قد يقتلان الحوراء عشقاً لشدة جمالهما، وجبينه الذي من أجله قد تتصارع خيوط الشمس لأجل الانعكاس عنه، ناهيك عن مشيته التي خجل الهدوء منها. وما أن أستقر الأمير واقفاً أمام مرجان، وقال وبصوته العذب ومخارج كلماته الحسنة، ونطقه الحسن: السلام على السيدة مرجان.

شعرت مرجان بأن الذي يقف أمامها ليس خادماً كما ادعى شعيب، الذي بدوره استوى واقفاً ليعبر عنه احترامه للأمير فردوس بالخفاء، فقالت مرجان التي تفاجأت من وقوف شعيب: شعيب لم وقفت؟ اجلس... حيث جهلت الأخيرة سبب

ذلك الوقوف... فرمقه الأمير فردوس بنظرة فهمها شعيب بأنه يجب أن يتصرف بصبرٍ وهدوء.

جلس الأخير شَاداً على قبضته حسرة وندماً وحزناً، عطش لأن يجهش بالبكاء كعطش الظمآن لكأس ماء باردة. فقال في قرارة نفسه: أمَلك يقف وقوف العبيد بين يدي الرعية؟

قالت مرجان مخاطبة الأمير فردوس وهي تضع ساقاً على الأخرى وتحمل كأساً من شراب تحبه في يدها: اخلع لثامك.

خلع الأمير فردوس اللثام، ليكشف عن جمالٍ لم تسمع له مرجانا من وصف ولم تر له مثيل من قبل أبداً، فقالت في قرارة نفسها بعد أن أسقطت كأس الشراب من يدها سهواً بعدما شردت في التمعن بمعانِ وجه الأمير، فقالت في نفسها بعدما توقف الزمن في أرجاء الكون: اقسم يا هذا بأنك قد خُلقت كما تريد واخترت لنفسك أجمل قالب لتخرج بأحسن ما تريد أن تكون. شاب مليح بلسانٍ بان من خلال سلامه ونطقه بأنه لسان فصيح وجبين أزهر وخدٍّ أحمر، كما قال الشاعر:

"ومُهفهفٍ من شعرهِ وجبينه..... مشى الورى في ظُلمةٍ وضياء

ما أبصرت عينيك أحسن منظراً..... فيما يُرى من سائرِ الأشياء

كالشامةِ الخضراءِ فوقَ الوجنةِ..... الحمراءِ تحتَ المقلةِ السوداءِ"[٢]

[٢] مجهول

جلست مرجان بعد أن كانت واقفة دون أن تدرك ذلك، وبعد أن استعادت وعيها جراء ذهولها ومما رأت عيناها، فقالت بعد أن وضعت ساقاً على الأخرى مجدداً: ما اسمك يا هذا؟

الأمير فردوس: أُدعى ياقوت.

مرجان في قرارة نفسها: بل قد ظلمك الذي سمّاك ياقوت، فليخسأ الياقوت إن وصفت به، بل سمي الياقوت ياقوتاً لأنك أنت هو الياقوت واستُخلص اسم الياقوت من جمالك واسمك.

فقالت مخاطبة ياقوت (الأمير فردوس): أوَ يكون جميلٌ مثلك خادماً! ماذا فعل بك القدر يا ياقوت؟

ياقوت (الأمير فردوس): إن القدر إذا ما أراد شيئاً فما على الخلق سوى الانصياع والطاعة.

مرجان وهي متفاجئة بسرعة رد ياقوت: لم أكن أعلم بأن للقدر هذا المقدار من السلطة.

ياقوت بوجه حزين وعينين براقتين: عندما يتكلم القدر تسكت الرعية ملبية أوامره.

مرجان: ولكن لمَ لم يرأف بك؟

ياقوت: سيدتي إن القدر لا يميز بين الشيخ والشاب، فكيف تريدين منه أن يميز بين الاشكال والالوان؟ كل الخلق أمام القدر سواسية كأسنان المشط.

بعد أن تفاجئت مرجان من رد ياقوت السريع والنبيه أيقنت أن هذا ليس عبداً كما زعم شعيب، بسبب منطق رده: حسناً يا ياقوت، ستأخذك صفية إلى بيت الخدم وستعطيك مهامك التي ستبدأ بها من يوم غد، بعد أن تستريح وتطرد عن نفسك عناء السفر.

ذهب ياقوت (الأمير فردوس) برفقة صفية هي وصيفة السيدة مرجان وخادمتها المقربة تلك السيدة الكبيرة بالسن بعض الشيء وهي من ثقات السيدة مرجان. فعندما ذهب ياقوت شيعه التاجر شعيب بعينيه قائلاً بقرارة نفسه: إن القدر إذا ما أراد شيئاً فما على الخلق سوى الانصياع والطاعة.

مرجان: حسناً يا شعيب بكم تنوي بيع يا قوت لي؟

التاجر شعيب: مرجان، أبيعه لكِ بالشرط لا بالمال.

مرجان: بالشرط؟!

شعيب: نعم يا ابنتي بالشرط.

مرجان: والشرط هو أن أحسن معاملته أليس كذلك يا شعيب؟

شعيب: مرجان، هذا ليس كسائر الخدم الذين اشتريتهم سابقاً، وأنت قد بِتِّ شاهدة على ذلك بما رايتيه من حسنه ومنطقه للتو، فبالله عليكِ أَوْ مثل هذا يباع بثمن؟

مرجان مبتسمة: شعيب، أتعلم؟ قبل قليل حسبت أن الكبر بالسن قد أثر على نبوغك بالتجارة، ولكن قد تبين لي العكس الآن. إذ إنك لم تزهد ببيع الخادم ياقوت لي بالمال.

شعيب مدعياً: لولا التعب الذي لحق به بسبب تنقله معي من مكانٍ لآخر وخوفي عليه لن أبيعه لك ولو بجبل من ذهب يا مرجان، ولو بجبل من ذهب. والآن أعطني دواة لأكتب العقد الذي يثبت بأن ياقوت هو خادمي الخاص وقد بعته لكِ. حيث إن العقد سيضمن بأن لا تبيعينه لأي كان وبأي ثمن كان.

عندما عقدت الصفقة بين مرجان وشعيب، تجمهر ثلثا العاملين في قصر السيدة مرجان أمام بيت الخدم الذي سيقيم فيه ياقوت ليشهدوا جمال درة قد انضمت لهم لتنخرط في سلك الخدم معهم. همهمة، همس، زفرات حسرة، عتاباً على القدر، كان مضمون كل ذلك هو: أمثل هذا الجمال يعمل كخادم؟!... تفرق الجميع بعد أن صاحت فيهم السيدة صفية التي قالت بغضب وحزم: قسماً لو كان السيد (عَدَن) موجوداً هنا اليوم لما اجتمعتم وتجمهرتم هكذا تاركين أعمالكم، ولكن المسكين انتقل إلى رحمة الله. هيا فلتنصرفوا إلى أماكنكم وأعمالكم وإلا فلن أغادر أحداً منكم دون عقاب يؤدبه... بعد أن انتهت السيدة صفية من توبيخ ذلك الجمع من الخدم الذين جاءوا ليروا ياقوت بعدما أَدْهَشُوا بجمالٍ فذ لم يروا له نظيراً من قبل ولم يسمعوا له من وصف. دخلت صفية إلى بيت الخدم وقالت مخاطبةً ياقوت الحزين: ياقوت بُني ستستريح هنا هذه الليلة لتطرد عن نفسك عناء وتعب السفر.

ياقوت بعد أن أطلق زفيراً يدل على حزنه: سيدتي، تعب السفر وعنائه يُطرد براحة الجسد، ولكن كيف بتعب الروح والقلب؟

صفية بعدما سمعت رد ياقوت الذي فاجئها: يا بني، أعلمُ بأن خلفك قصة مؤلمة هي سبب جعلك تقصد القصر لتعمل فيه خادماً، غير أن شمائلك تدل على أنك

عشت في ترفٍ ونعيم، فكيف غيّر القدر رأيه ليلقي بك في بحرٍ يراه عامة الناس لك بحر الذُل لتقذفك أمواجه على أعتاب القصر ويلتقطك ساكنوه خادماً.

ياقوت والدموع بانت على مشارف عيونه بعدما تذكر ما حلَّ به في السابق: بحر الذُل أولى من أن يطأ السفر صدري جبناً، وأن أعمل خادماً فداءً لأن لا تزهق الأرواح كماءٍ يسكب على الأرض، وسهر الليالي خيراً من أن يتربع الظلم على أكتاف الناس... قال ياقوت ذلك الكلام وأسند ظهره إلى الجدار الذي كان خلفه ثم انزلق ظهره حتى جلس على الأرض واضعاً رأسه بين ركبتيه كأنه كان سيهم بالبكاء ولكنه قد ذكر نفسه بأنه أكبر من ذلك... سارعت إليه صفية بندم من كلامها الفض الفضولي: لا يا بني ليس هذا ما كان مقصدي، فالحق أقول كل ذلك كان فضولاً لأعرف كيف لشخص مثلك أن يقصد القصر خادماً، والآن استرح هنا إلى صباح الغد وسآتي إليك لأعرّفك على عملك.

لما همت صفية بالخروج من بيت الخدم سمعت ياقوت يقول:

"ما حيلة العبد والأقدار جارية..... عليه في كل حال أيها الرائي

ألقاه في اليم مكتوفا وقال له..... إياك إياك إن تبتل بالماء"[٣]

نظرت إليه صفية بعطف وشفقة، فقالت: "باطن الكثير من الأمور ليس كما في الظاهر لنا"...

[٣] مجهول

في العاصمة وتحديداً قبل أربعة أيام من دخول الأمير فردوس (الذي هو نفسه ياقوت) إلى قصر السيدة مرجان، أي مباشرة بعد يومٍ واحد من وفاة الملك سامان. كان قد حدث النفير العام بين صفوف جند القصر وعناصر الأمن بحثاً عن الأمير فردوس فتشوا العاصمة شبراً شبرا، ولكن دون أية جدوىً تذكر، لأن الأمير باختصارٍ قد اختفى. حيث اجتمع كل من الوزراء (عامر وفواز والشاب آدم وكذلك الوزير بشار وحسان والشاب رواح) وهم الذين يمثلون الحكومة الخاصة باطلانطس.

أحد ضباط عناصر الأمن الخاصة بالقصر تقدم مخاطباً الوزير الأول لاطلانطس واسمه (عامر) حيث كان الأخير جالساً في بلاط القصر الملكي واضعاً ثقل رأسه على يديه المسندتين على ركبتيه، حيث قال الضابط الذي سمح له البواب بالدخول إلى ذلك البلاط: سيدي الوزير، لم نجد للأمير أي أثر.

الوزير (عامر) بعد أن نهض وأمام أعضاء الدولة شابكاً أصابع يديه ووضعهما على رأسه: قولوا لي بحق السماء، قولوا لي أين يمكن أن يذهب الأمير؟ هل مات؟ أم ماذا؟ ..... صرخ بصوت عالٍ يصعب تفسيره: أكاد أُجن أيها السادة أكاد أُجن .... يقاطعه بواب البلاط قائلاً: عذراً يا سيدي أحد الضباط يريد الدخول و..... فقاطعه الوزير قائلاً: اسمح له بالدخول أيها الأحمق هيا اسمح له بالدخول بسرعة... .... الضابط بعد أن تقدم إلى البلاط قال: سيدي..... فقاطعه الوزير قائلاً: لم تجدوا للأمير أي أثر، أليس كذلك؟

الضابط: للأسف سيدي، ولكن.....

الوزير عامر: ولكن ماذا؟ هيا تكلم.

الضابط: حتى لو كان في اطلانطس كيف سنعرفه ونحن لم نره من قبل؟ ولكن...

الوزير الثاني واسمه فواز: تكلم بسرعة، لا تلوح لأي شيء، أبدي ما تريد قوله ولك مني كل الأمان يا هذا.

الضابط: سيدي لو كان الأمير في اطلانطس سنجده بعمليات البحث المكثفة التي نقوم بها الآن لا محالة، ولكن أمامنا خياران فقط، إما أن يكون خارج اطلانطس أو أنه قد دفن فيها؟

صفع الوزير عامر الضابط بسبب ما تفوه به، في حين اعترضه الوزير فواز قائلاً: أيها الوزير عامر لا تنسى فقد أعطيته الأمان... وأنت أيها الضابط هيا انصرف من هنا.

أدى الضابط تحيته الملكية وانصرف بعد أن ألتقط خوذته التي سقطت منه جراء صفعة الوزير عامر له.

وتفرق الجميع.....

****

في جوف الليل الأسود اجتمع بعض من أعضاء حكومة اطلانطس على انفراد وهم الوزراء (عامر وفواز وبشار وحسان) وهؤلاء باختصار هم الخونة الذين ذكرتهم كتب التنجيم.

الوزير عامر وقد ضرب الطاولة التي كان يجلس عليها ومن صاحبه في هذا الاجتماع، قائلاً: أيها السادة، إن حكم اطلانطس العظمى قد بات لنا على قاب قوسين أو أدنى من ذلك، ولكن حال دون ذلك هو اختفاء الأمير فردوس، فباختفائه المفاجئ هذا وضعنا في حيرة من أمرنا. ودمّر مخططنا بالاستيلاء على الحكم بعد انقلابنا السري.

الوزير فواز وهو يمشط لحيته بيده: أتساءل، هل يعقل أنه قد اكتشف أمرنا بالانقلاب السري. هل علم بأننا من قتل والده بدس السم إليه؟ وهل علم بأننا نخطط لأن نلحقه بوالده أيضاً؟... زفر زفرة تدل على أن في رأسه ألف سؤال وسؤال، فقال: لماذا وأين اختفى؟

الوزير بشار: سيدي الوزير فواز، وأنت يا سيدي الوزير عامر، لو أن الأمير فردوس طرق باب قصرك الآن ودخل علينا إلى ها هنا هل ستتعرفان عليه؟ بالطبع لا، وهذا هو جواب التساؤل الذي كان يشغلنا حول لماذا كان الملك سامان يخفي الأمير فردوس عنا، فلم نره باجتماع أو في أي مكان آخر إلا وكان بيننا وبينه ستار يخفيه عنا، أما صورة وجهه الكاملة فلم نرها من قبل مطلقاً. وجواب تساؤلك يا سيدي الوزير فواز هو أنه قد اكتشف أمر انقلابنا بلا أي شك.

الوزير عامر: ما قاله الوزير بشار صحيحاً، حتى لو أن الأمير كان بيننا الآن لما كنا سنعرفه، فقد كان الملك سامان يجتمع معه على انفراد بعد أن كان يجتمع بنا. وكان محاطاً بحراس كُثر إذا ما أراد الخروج في مهمة ما تخص الحكم، ولم يكن يُسمح لأي وزير أو أي كان بأن يقترب منه ما خلا الوزير آدم والوزير

رواح. وإضافة لذلك كان لا يخرج إلا ومعالم وجهه غير واضحة بسبب لثامه الذي كان يرتديه. فهل يعقل أنه ووالده كانا يعلمان بأمر الانقلاب السري؟

"وأنا لدي الدليل بأنهما كانا يعلمان بأمر الانقلاب السري أيها السادة"... قال الوزير حسان هذا الكلام وكادت أنفاس الجميع الذين كانوا مجتمعين معه أن تتوقف، فقال الوزير عامر الذي اتسعت عيناه ولم ينطق لسانه إلا بعد تلعثم شديد وبصوت عالٍ جداً: وما هو... وما هو... أرجوك أيها الوزير تكلم قبل أن تقتلني بسكوتك هذا... وما دليلك؟

فقال الوزير حسان: لقد قرأت نسخة لكتاب تنجيم من الكتب التي كانت بحوزة المكتبة الخاصة بالملك سامان خلسةً، والتي ذكرت أمر الانقلاب السري الذي سيقوم به بعض من الوزراء.

الوزير فواز بعد أن نهض عن الطاولة والتي كان جالساً عليها وأصبح يأخذ غرفة الإجماع بالطول والعرض: إذاً... إذاً... إذاً فقد قُضِيَ الأمر... هل أكتشف أمرنا؟!... هذا يعني... إننا... اعترضه الوزير عامر صارخاً بوجه بعد أن أمسكه من طاقيته: أيها الأحمق، ما بك أيها الجبان لا تنسى بأنك وزير يا فواز.

تخلص الوزير فواز من قبضة الوزير عامر بعد أن دفع الوزير عامر بكلتا يديه صارخاً بوجه: أنت السبب يا عامر أنت السبب، فأنت من أقحمني بهذه الخيانة الفاشلة التي لن نجني منها غير قطع رقابنا أمام الشعب نكالاً بما فعلناه... نعم أنت السبب، بسبب طمعك وجشعك وحسدك لأخذ العرش من الملك سامان... أخ... أخ... أخ منك يا عامر.

نهض الوزير بشار من الطاولة التي كان جالساً عليها وامسك الوزير فواز مهدئاً من روعه: ما زالت الكفة بصالحنا، فالأمير ليس له ناصر ولا معيناً، ولا أحد يعرفه من الحكومة أو الشعب، هل نسيت بأنه كان مخفي الملامح عنا وعن الشعب. فإن عاد فنصيبه خنجراً واحدا فقط نغرسه في قلبه، وننتصر عليه انتصار الأسد على فريسةٍ لا حول ولا قوة لها.

الوزير فواز وما زال الخوف متمكناً منه: أيها الأحمق، أيها الفاشل، أيها الوغد، يا عديم الفهم، أنسيت أن الوزيرين آدم ورواح صديقيه ويعرفانه؟ أنسيت أن أعضاء المجلس الأعلى لاطلانطس يعرفونه؟ أنسيت أن الختم الملكي في حوزته؟

الوزير بشار وقد وضع يده على جبينه مستدركاً: يا إلهي كيف نسيت هذا؟

الوزير حسان بعد أن قدم كأساً من الماء للوزير فواز: سيدي الوزير فواز، استغرب ارتباكك وخوفك الذي لا داعي له، فالكفة بأكملها لنا نحن الأربعة، فالأمير كما قال الوزير بشار وحيداً فريداً فلا ناصر ولا معيناً، إلا ما ذكرت لتوك، ولكن إن أردنا أن نصحح أخطاءنا فيجب أن نتخلص من أصدقائه وأعضاء المجلس.

الوزير فواز: إذاً لا بد وأن نكثف كل جهودنا للقبض على الأمير والتخلص منه بأسرع ما يمكن.

الوزير عامر: اترك هذه المسألة لي ولأتباعي، وما عليكم فقط هو مراقبة كل من الوزيرين آدم ورواح، فماداما ليسا معنا بالانقلاب السري إذاً فهما يشكلان

خطراً كبيراً علينا، وأنت أيها الوزير فواز ما عليك فقط هو أن تضبط مشاعر الخوف والارتباك التي لديك، ولنجهز أنفسنا لمراسيم تشييع ودفن الملك سامان غداً.

الوزير بشار: ولكن بماذا سنخبر الشعب بشأن الأمير فردوس؟ فلا بد وأن يتساءلوا عن سبب غياب الأمير عن مراسيم الغد.

الوزير عامر: سأخطب فيهم غداً وسأعلمهم بأن الأمير قد اختفى فجأة وليس لنا أي خبر بمكانه وحاله، ولا حتى سبب اختفائه المفاجئ. سنجري مراسيم تشييع والده وكأن شيئاً لم يكن.

هؤلاء هم الخونة الذين ذكرتهم كتب التنجيم، هؤلاء هم الخونة الذين حذّر منهم الملك الراحل سامان. فهم من قاموا بدس السم للملك الراحل وعلى رأسهم الوزير عامر الذي غرر بهم وأقنعهم ودفعهم لذلك، حيث كان يغار من الملك الراحل ويحسده على سلطته وعرشه إلى أن قتل الملك بعد أن دس إليه السم قبل أسبوعين من وفاته حيث إن مفعول السم يبدأ من تلك المدة المذكورة، فما أن أكل الملك سامان الطعام المسموم حتى بدأت قواه تخور وجسده يضعف شيئاً فشيئاً إلى أن أتاه اليوم الذي قال فيه شهد سمعي وبصري وقلبي ولساني وجلدي وشعري وبشري وعظمي ولحمي ودمي أن لا إله إلا الله.....

وجهٌ يغار منه لؤلؤ البحر ومرجانه

بعد تشييع الملك ودفنه، رثته الأرض وشعبه، "بالبكاء والنحيب الذي علا أرجاء المدينة، فقد نعته السماء صائحة، والأرض نائحة، للرزء العظيم، والمصاب الجسيم، أتى الناعي، وندبت المساعي، ولطمت عليه المحاسن خدودها، وشقت عليه المناقب جيوبها"[٤]. كيف لا يكون ذلك وقد كان كالأب الحنون لشعبه. وبعد أربعة أيام من التشييع وأُضيف لها يوماً بعد بيع الأمير فردوس (والذي سمى نفسه ياقوتاً حتى يغيب عن الأنظار).

لم ينم ياقوت الذي كانت له أول ليلة في بيت الخدم في داخل قصر السيدة مرجان حيث سيعمل غداً خادماً عند أحدى رعاياه، لقد تكلم البارحة مع التاجر شعيب بكلام طولٍ حديثه، غريبة مواضيعه، محيرة ألغازه، ومن جملتها:

التاجر شعيب: سيدي... يقاطعه ياقوت: صه يا شعيب... فهمها التاجر وقال: بني ياقوت غداً ستبدأ حياتك الجديدة والتي أسأل الله تعالى أن يجعلها تمر عليك بلمح البصر أو هو أقرب من ذلك يا بني.

ياقوت: يا شعيب إن كان بذلك الخلاص للناس من فتنة يُقتل فيها الصغير والكبير فلا بأس لـ(ياقوت) أن يمضي بقية عمره خادماً. فلا تحزن ولا تغتم، يا شعيب نريد والله يريد ولا يكون إلا ما يريد سبحانه... ولكن لدي سؤالاً كان يشغل تفكيري.

التاجر شعيب: فداك شعيب يا بني، ما الذي يشغل تفكيرك؟

---

[٤] مجهول

ياقوت: ماذا تعرف عن النور الخامس؟

شعيب بعد أن أمال رأسه ولملم بعضلات جبينه دلالة على عدم معرفة الإجابة فقال: النور الخامس؟

ياقوت: نعم يا شعيب، النور الخامس.

شعيب: سيدي لا أعلم عن ماذا تتكلم.

ياقوت: إن والدي أثناء ما حضرته الوفاة أخبرني بأن هناك مهمة تقع على عاتقي غير مهمة استرجاع عرش اطلانطس من الخونة، وهي البحث عن قضية النور الخامس وإخفائها، ما هي قضية النور الخامس ولماذا أُخفيها؟

شعيب: إذاً لا بد وأن نبحث عن مقصد والدك رحمه الله، لابد وأن هناك أمراً مهماً جداً لدرجة أنه أوصاك به أثناء ما حضرته الوفاة. ولا تنس بأن والدك قد أودع كتباً عند السيدة مرجان، كتباً ثمينة وقديمة ونادرة واعتقد بأنك ستجد ما تصبو إليه، حيث إن والدك رحمه الله كان دائماً ما يهم بقراءتها عندما كانت بحوزة مكتبته في قصره. ويجب عليك أن تصل إلى تلك الكتب، بطريقة أو بأخرى دون أن تشعر بك مرجان.

ياقوت بعد أن بأن له الخيط الأبيض من الأسود قال: يا شعيب أظن بأن وقت الفراق قد دنت ساعته، وحان وقت رحيلك وسيبدأ العد التنازلي للشوق والانتظار لك. فلا تبخل علينا بأن تطل بطلعة وجهك بين الحين والآخر، فأنت تعرف بأن ياقوت لم يتبق من أقربائه سواك، وسأنتظرك دائماً عند باب القصر كطفلٍ ينتظر مجيء أبيه من السفر.

شعيب بعد أن سالت دموعه على خده كطفل صغير يودعه والده لسفرٍ طويل انتظاره: كيف سأنام ليلي، ويلتذ بطعامٍ أو شراب؟

ياقوت: لا بد من ذلك يا شعيب لا بد من ذلك، أولى مهامك هي الذهاب إلى اطلانطس وتحسس من الأخبار التي بشأني واكشف من هم الخونة الذين باعوا آخرتهم بدنياهم، آتني بأسمائهم جميعاً وأفهم ما الذي دفعهم لذلك؟ وعليك معرفة من معنا ومن علينا.

خرج الاثنان من بيت الخدم وأثناء ما كان ياقوتا يعد العدة التي تلزم سفر التاجر شعيب إلى اطلانطس، قالت مرجان: ليتك تبقى هنا أكثر يا شعيب.

شعيب: ابنتي مرجان لقد تأخرت كثيراً عن اطلانطس فحتى الآن لم أذهب ولم أشارك بتشييع الملك الراحل سامان... يقاطعهما ياقوت: سيدي التاجر لقد أكملت تجهيز العدة لسفرك.

وضع التاجر شعيب كفه على كتف ياقوت، كان الأول يريد أن يضم الثاني إلى صدره، كيف لا وهذا وداعٌ فريدٌ من نوعه. أميرٌ كان يحكم بأمان الله ذات يوم، ليأتي حفنة خونة باعوا ضمائرهم بدنيا صُنعت من خزف زائل وأضاعوا آخرتهم التي صُنعت من ذهب باقٍ. فيتحول الأمير من أمير إلى خادم يُؤمر ويُنهى لأجل إرضاء التي كانت تحت رعاياه ومرجان أنا أقصد. مرجان تلك الفتاة التي كانت تقول في قرارة نفسها وهي تنظر لياقوت: لقد كنت أعد ساعات الليل ساعة ساعة، بل دقيقة دقيقة، لم يطب لي نوم، خادم جديد كالعادة في قصري ولكن هذا الخادم هذه المرة ليس كسابقه، خادمٌ له لساناً كلسان الشاعر الفصيح وقد بأن ذلك من خلال سلامه وكلامه ونطقه بالأمس وعقل جريح.

ووجه كوجه الأمراء، لا بل له طلعة كطلعة الملاك. ولكن هناك تساؤلاً قد شغلني؟ لماذا هذا الحماس من مني؟ لماذا كنت أتقلب في فراشي كالأرق الذي هرب النوم من عينيه، أيعقل أنني قد فقدت حاسة النوم وما عادتا عيناي تعرفان ما معنى النوم؟ ما هو النوم أصلاً؟ فقد بقيت يقظة حتى الصباح، غير أنني كنت أصرخ طوال الليل: "هيا اخرج من راس يا هذا، أريد النوم ولو لبرهة". إلا تباً لك يا شعيب من أين أحضرت هذه الدرة معك؟ لتبيعها إياي ليخدمني وبدلاً من أن يخدمني في قصري بات الآن لا يغادر ذهني وبات يشغل كل تفكيري وأصبحت أسيرة التفكير في أمره. ولم أعرف لذة النوم في ليلي. والأسوأ ومن كل ذلك هو أنني لا أعرف لمَ أفكر فيه حتى الآن؟ فهو مجرد خادم سيخدمني بقية عمره مجرد خادم لا أكثر. تُرى لماذا لا أعترف بالحقيقة؟ تلك الحقيقة التي... التي... التي... لا أستطيع أن أقولها...

هذه هي مرجان فتاة تحب ذاتها أكثر من ذاتها وتحب أن تثبت نفسها "والويل للمحيط إذا ما أحاط بشخص يريد إثبات نفسه على الدوم"... وأثناء ما كان التاجر شعيب يودع ياقوتاً إذ دخل أحدهم إلى المقاعد التي كانوا جالسين عليها في حديقة قصر السيدة مرجان شاحب الوجه لاهث الأنفاس وقلقه للخبر غير السار الذي يحمله لا يقاس. فقالت السيدة مرجانا: خيراً يا (بدر) ما هذه الحال التي أنت عليها، ما الأخبار التي معك؟

بدر: سيدتي احمل لكم خبراً سيئاً سماعه.

مرجان: هيا تكلم بحق السماء.

كلاً من ياقوت والتاجر شعيب كانا قد خمنا ما يريد أن يقوله بدر... حيث قال الأخير: سيدتي إن اطلانطس قد شهدت أمراً مريباً بعد أن تُوفِي الملك سامان.

مرجان بغضب: ويحك يا هذا، ألن تتكلم؟!

بدر: سيدتي إن الأمير فردوس قد اختفى فجأة وأضحت اطلانطس دون ملك وولي لعرشها ليحكمها.

مرجان وبعد أن كانت واقفة سقطت على أحد المقاعد في حديقتها بعد أن دارت الأرض في رأسها. همت صفية لتساعد مرجان التي قد يغمى عليها إن استسلمت للدوار الذي أصاب رأسها: سيدتي تماسكِ أرجوك... حيث كانت صفية ترشق وجه مرجان برذاذ الماء.

فقال شعيب الذي أومأ لـ(ياقوت) بحركة رأس منه دلالة على أن الخطة تسير كما يجب، فقال مخاطباً بدر: وكيف هذا يا بدر؟ أعني ما الذي تعنيه بأنه قد اختفى؟

بدر: سيدي أثناء البدء بمراسيم تشييع الملك سامان أعلن الوزير عامر عن اختفاء الأمير، كما أعلن بأن كل المستشارين والوزراء قد قلبوا اطلانطس رأساً على عقب بحثاً عنه، ولكن من دون أية جدوىً تُذكر. حيث شهدت العاصمة نفيراً حاداً بين صفوف جندها وعناصر أمنها بحثاً عن الأمير وذلك قبل مراسيم الدفن بيومين.

مرجان المسندة إلى صفية وصوتها الذي يدل على أنها تعرضت لصدمة ليست بالسهلة، وهي تخاطب شعيب بصوتها الذي يعلوه الحيرة الشديدة: ولكن... ولكن أين يمكن أين يذهب أو يختفي الأمير؟ وهل اختفى حقاً أم أن هناك شيئاً آخر؟

شعيب وهو يهم بالذهب: أنا ذاهب إلى اطلانطس لأرى ما الذي يجري هناك.

مرجان وهي تستجمع قواها لتنهض وتنادي شعيب الذي وثب كالليث وتنادي عليه: أرجوك أرسل لي الأخبار بين الحين والآخر وخذ بدراً معك.

من حق مرجان أن تقلق هكذا بشأن الأمير إذ إنه بقية الملك سامان وهو الحاكم الذي يجب أن يحكم بعد والده، وإلا فإما أن تتدهور الأوضاع في المدينة أو ينشب فيها القتال بين كبار حكومتها. أصابها الحزن الشديد لحظة أن سمعت اختفاء الأمير ولكنها جهلت أن الأمير هو بقرها الآن ويعمل خادماً عندها متخفياً بل هارباً من أن تمسه اليد التي قتلت والده الملك سامان، أي أنها قد جهلت أن الأمير فردوس هو نفسه ياقوت ومن أين لها أن تعرف ذلك؟... انحنى ياقوت للسيدة مرجانا وخرج من حديقة القصر التي كان فيها وشهد فيها خبر اختفائه الذي نُقل للسيدة.

****

بدأت قوافل التجارة بالدخول والخروج إلى القسم الخاص بها بداخل أسوار قصر السيدة مرجان، ذلك القسم المسؤول عن تنظيم القوافل الصادرة والواردة، وكان الخدم هم من يجهزون البضائع وخِدمة أصحاب القوافل الوردة والصادرة.

لقد عمل كل خدم القصر لأجل تسيير القوافل التجارية كالعادة. حيث كان ياقوت من جملتهم عمل حسب أوامر المشرف الذي كان مشرفاً على عملهم كيف ما كان يشير ويملي عليهم المشرف، لقد عمل ياقوتا كما لو كان خادماً من قبل، كما لو كانت مهنته هي هذه، لم يتلكأ ولم يتذمر ولم يتكاسل في عمله بل كان نشيطاً ناصحاً في عمله. أحبه مشرف عمله، أحبه كل الخدم الذين من حوله، لقد قذف الله حب ياقوت في قلب كل من تعرف عليه، أحبه الكبار والصغار، أحبه كبار التجار، ولم تفارقه الأنظار، لحسن وجهه. وكانت التساؤلات لفرط الحسرات: أحسن الوجه يعمل خادماً؟!

رجل كبير بالسن واسمه (سهم) تقدم لـ(ياقوت): بني ياقوت اذهب لتستريح وأنا سأحل في مكانك في العمل، فأنت جديد هنا.

ياقوت وهو يحمل صندوقاً لوضعه على ظهر إحدى جمال القوافل الصادرة: بل لدي رأيٌ آخر يا عم.

سهم: وما هو يا بني؟

ياقوت بعد أن أنهى مهمة الصندوق الذي وضعه على ظهر إحدى جمال القوافل التجارية التي كانوا يعملون على تصديرها، ووضع يده على كتف سهم: أن تذهب أنت لتستريح وأنا سأحل في مكانك في العمل.

اعترض سهم على ذلك وعادا إلى العمل حتى قُرع الجرس الذي نبههم على أن استراحة الغداء قد حان موعدها. وقف كل الخدم في دورٍ تعداده مائة وخمسين عاملاً كلٌّ يحمل في يده طبقه الخاص بوجبة الغداء، كلٌّ ينتظر دوره حتى

يحصل على وجبته، كان الأمير الذي كان يجب أن يحكم اطلانطس كان من ضمن ذلك الدور أيضاً، رث الثياب، مغبر الوجه والشعر، كأن الغبار الذي علا على وجهه يقول بعد أن أشفق وتحسر: ما ذنبي إذ حملتني إليك مشقة العمل وألحقني بوجهك الذي يغار منه لؤلؤ البحر ومرجانه.

والغريب أن الوجه إذا ما اتسخ بغبار العمل تختفي معالم الجمال عنه، ولكن ياقوت شذ عن القاعدة إذ ازداد جمالاً بتراب وجه. وأثناء ما كان ياقوت يتناول وجبة غدائه إذ أتته السيدة صفية تخبره بأن السيدة مرجان تطلبه. استحم ياقوت ليزيل الغبار عنه ففي النهاية سيدة القصر تطلبه ومن غير اللائق الامتثال أمام سيدة القصر بوجه وثياب متسخة.

بعد أن أذنت السيدة مرجان لياقوت بالدخول وأنبأته بذلك السيد صفية، ولحظة أن دخل ياقوت إلى حيثما طلبته السيدة مرجان وهي غرفة مكتبها قال بصوت يتغنى به صوت الناي: السلام على السيدة مرجان... قال ذلك ووقف وقفة الأمراء العفوية.

السيدة مرجان بلهجة مبطنة بتوبيخ شديد الوضوح لـ(ياقوت): كل تجار القوافل الواردة إلى قصري قد صدعوا رأسي، إذ كلٌّ منهم يريد أن يشتريك مني والحجة هي يجب على حسن الوجه أن لا يعمل مثل هكذا عملاً، وأنك يا مرجان تظلمين الفتى بجعله يعمل هكذا عملاً شاقاً، وأنه لا يستحق هذا العمل، وأنكِ يجب أن تجعلي له عملاً يبعد الغُبار عن وجهه الحسن! ما ذنبي إذ باعك التاجر شعيب مثلك مثل باقي الخدم لي؟

ياقوت بهدوء ومطأطأ الرأس: وما الذنب الذي اقترفته أنا يا سيدتي؟ ففي النهاية ما أنا إلا خادمكم وطوع أمركم، وواحد من الخدم في قصركم، يكفي أن عقد خدمتي بين يديكم، وما كلام التجار ليس إلا نتاج عواطفهم.

مرجان بعد أن أحمر وجهها خجلاً بسبب تسرعها وغرورها، إذ إن هدفها الأول هو أن تُثبت لياقوت نفسها، إلا أنها قد زادت الطين بلةً عندما قالت بتجهم بعد أن وقفت لتعبر عن غضبها مشيرة بسبابتها نحو ياقوت: لا تتواقح يا هذا، إن أردت أن لا أعقابك بعقاب يؤدبك، فلا ترادني مرة أخرى.

اعترضت صفية مدافعة عن ياقوت بعد أن رأت بريق عينيه. فقال في قرارة نفسه: ليتك يا أبي أخذتني معك، أو ليت أجدادي يرون حال وريثهم التي أمسى عليها اليوم.

تدخلت صفية قائلة: بالله عليكِ يا سيدتي لا تقسين عليه، فما ذنبه؟

لاحظت مرجان أنها كان قاسية على ياقوت لسبب غير مقنع وشعرت أمامه بأنها حمقاء بعد أن رأت هي الأخرى أنه قد حزن بسبب الموقف الذي بات عليه الآن ولسبب آخر غير توبيخها له لا تعلمه مرجان. ولأجل ذلك خجلت منه وأعطت ظهرها له وللسيدة صفية واتجهت لنافذة غرفة مكتبها ولأجل إصلاح خطئها قالت: حسناً يا ياقوت سأجعلك تأخذ عمل السيد (عَدَن) -رحمه الله- وهو مدبر أمور القصر، ستخبرك صفية عن عملك الجديد وأتمنى منك أن تكون كفؤاً بمهمتك الجديدة.

مكر قوم صالح والشقي الثاني

بعد مضي شهر من إبداع ياقوت في إدارة شؤون القصر حيث أصبح تسيير القوافل الصادرة والواردة أكثر تنظيماً من ذي قبل، وزادت أرباح تجارة السيدة مرجانا إلى الضعف بفضل حنكة وذكاء ياقوت، وكذلك تحسنت أحوال الخدم بإدارته بالإضافة إلى تحسن أحوال القصر، نال إعجاب كل المشرفين الذين يعملون تحت إشرافه ونال ودَّ الجميع في القصر إلا السيدة مرجان التي كانت تريد إثبات نفسها أمامه فقد أحبته بقلبها وكانت تُظهر له اللامبالاة له ظاهراً، وذلك كله بسبب غرور الأخيرة من ياقوت حيث دفع بالأخير إلى عدم مواجهتها بين الحين والآخر إلا بالأمور المهمة التي تتعلق بالقصر، وبسبب ذلك ظنت السيدة مرجانا أن ياقوت لا يهتم لأمرها مما جعل من السيدة مرجان أكثر غَيرة منه.

السيدة صفية في غرفة الاستقبال الصغيرة والتي أُعدت فقط للخواص بالسيدة مرجان قالت مخاطبة السيدة مرجانا: سيدتي إن ياقوت يريد مقابلتك

تساؤل شغل السيدة مرجان، فياقوت لا يقابلها إلا بالأمور الخاصة بالقصر ولتلك الأمور موعدها الخاص. ولما دخل ياقوت وامتثل بين يَدَيَّ السيدة وألقى تحيته المعهودة والتي تحب السيدة مرجان سماعها منه: السلام على السيدة مرجان.

السيدة مرجان الجالسة في صدر غرفة الاستقبال واضعة قدماً على الأخرى: وعلى مشرف القصر ومسيّر أموره السلام، تفضل بالجلوس يا ياقوت أهلاً بك.

لم يتكلم ياقوت حتى سألته السيدة عن سبب مجيئه المفاجئ فقال: سيدتي أنا عندما كنت أعمل عند التاجر شعيب، كنت أقرأ الكتب بكل أصنافها، أي أنني يا سيدتي أحب المطالعة كي أطرد الملل عني. فهل لديكم في القصر مكتبة أستطيع اقتناء الكتب منها؟ لأشغل نفسي بها.

مرجان بابتسامة مصطنعة: قراءة الكتب شيءٌ جميل يا ياقوت، ولكن يؤسفني أن أخبرك بأنه ليس لدي مكتبة بالقصر تحتوي على الكتب. غير كتبٍ استأمنها الملك الراحل سامان وهذه الكتب يا ياقوت هي أمانة لديّ وهي تحتوي على رسائل خاصة بالملك وحتى أنا لا يُسمح لي بقراءتها أو الاطلاع عليها أو بالأحرى لا يمكن لأي أحد أن يطلع عليها إلا الأمير فردوس الذي لا نعلم بأي أرض هو الآن. والأمانة لا يمكن لأحد أن يتصرف بها كيفما يرد كما تعلم. أنا آسفة يا ياقوت في الحقيقة يؤسفني أن أرد لك طلباً طلبته مني.

ياقوت الذي اطمأن لسماع مثل هكذا خبر فرح فرحاً شديداً. إذ إنه كان يريد أن يتأكد فيما إذا كانت لدى السيدة مرجان تلك الكتب التي أخبره عنها التاجر شعيب أم لا. ففي تلك الكتب هي حل اللغزين، وهما قضية النور الخامس وكيفية استرجاع عرش اطلانطس من أيدي الخونة الذين لا يعرفهم حتى اللحظة. فقال مواسياً خجل السيدة مرجان بسبب عدم تنفيذ طلبه: لا عليك يا سيدتي، فالأولى هو صيانة الأمانة... ثم أردف وقال بعد أن استوى واقفاً: والآن يجب أن أذهب إلى عملي، استأذنكم.

على ياقوت الحصول على تلك الكتب بأية طريقة كانت، فلم يتبق على قدوم كبير التجار التاجر شعيب وقافلته إلا أسبوع واحد، لذلك لا بد وأن يقرأ تلك

الكتب وكذلك تلك الرسالة التي هي بحوزة تلك الكتب. ولأجل ذلك طلب من النديمة صفية أن تأخذ أحد تلك الكتب خلسة من السيدة مرجان، فالنديمة صفية كانت تعامل ياقوت معاملة الأم إلا أنها قد عارضت فكرة ياقوت في أن يقرأ تلك الكتب ويقرأ ما فيها معارضة شديدة جداً إلا أنها في نهاية المطاف ومثل كل الأمهات قد قبلت طلبه على شريطة أن يعيد الكتاب بعد يوم واحد من أخذه. استدرج ياقوت السيدة مرجانا إلى خارج القصر أي إلى المكان الخاص بتصدير واستيراد القوافل التجارية بحجة أنه يريد منها أن تطلع على آخر المستجدات الخاصة بالقوافل. ولكن كل ما يريده من هذه الخطوة هو أن تتسلل النديمة صفية إلى داخل القصر ثم إلى داخل غرفة السيدة مرجان الخاصة وتحديداً إلى حيثما مكان الكتب التي استأمنها الملك الراحل سامان لدى السيدة مرجان والتي كان عددها ثلاثة كتب قديمة جداً بأطراف ممزقة وأوراق بالية، التقطت النديمة صفية تلك الكتب على عجالة من أمرها بقلب خافق واصفرار وجه وهي تقول: سامحك الله على هذه الورطة التي ورطتني بها يا ياقوت سامحك الله، عمري ناهز الخمسون عاماً وترسلني بمهمة اختلاس كتب من السيدة مرجان.....أخذ ياقوت الكتب من النديمة صفية، أخذ الكتب مصحوباً بوابل من العتاب والتوبيخ منها لشدة الموقف الصعب الذي وضعها فيه ياقوت، إلا أنها نسيت صعوبة المهمة عندما برّد ياقوت أعصابها بكلمة واحدة وهي عندما قال لها ياقوت: شكراً لكِ يا أماه.

خرجت تلك الكلمات من قلب ياقوت واستقرت في قلب النديمة صفية.

"ولما أقبلت عساكر الليل، وخفقت رايات الظلام، وخلع الليل عليهم فروته، وألبسهم الظلام بردته. وتفقد الشفق، في ثوب الغسق، قيدا الظلام ألحاظ العيون.

وستره الظلام بذيله. وأقبلت وفود النجوم. وجاءت مواكب الكواكب. وتفتحت أزاهير النجوم. ونورت حدائق الجوّ. وإذكى الفلك مصابيحه، وطفت النجوم في بحر الدجى "[٥]. حان الآن موعد البحث عما في تلك الكتب، التي عطش لها ياقوت عطش دم الغريق للهواء. وحيداً في داخل أحد مقاعد الحديقة يجلس ياقوت رافعاً طرفه إلى السماء أغمض عينيه فقال: لهفتي هي إن يكون ما أبحث عنه هنا... فبعد أن فتح الكتاب الأول الذي كان عنوانه (مكر قوم صالح والشقي الثاني)، أصيب بفرحة مبكية كان يريد أن يذهب للجميع لإيقاظهم ليشاركوه فرحته، فقد عثر بين طيات صفحات الكتاب البالية رسالة خبئها والده الملك سامان. ولكن سرعان ما تبددت فرحته، عندما قرأ أسطر الرسالة التي كانت تقول:" بسم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم

من الملك سامان إلى ولده الأمير فردوس...

أما بعد...

فإذا كنت تقرأ رسالتي هذه فهذا يعني أنني قد فارقت الحياة بسبب سم دسه لي بعض من وزرائي، لتبقى وحيداً فريداً يا من عُلّق به أمل نسل سامان وملوك اطلانطس، وحسب ما خططتُ له فأنت الآن تدعى (ياقوت) وتعمل خادماً في قصر التاجرة مرجان... بني فردوس في هذه الرسالة هي الوصايا التي يجب أن تنفذها ولو كلفك ذلك حياتك، عرش اطلانطس ليس مهماً فالله هو الذي أعطى وهو الذي يأخذ. ولكن الأهم من ذلك هو البحث عن قضية النور الخامس الذي سيأتي بعد خمسمائة عام. هذا النور يا بني مهدد بأن يُخمد من قِبل عبدة

[٥] مجهول

الطاغوت وأتباع الشيطان فإذا أُخمد ذلك النور ستُخمد معه الحياة وتفنى البشرية عن آخرها بطي الأرض حزناً عليه.

هذا ما أخبرتنا عنه كتب التنجيم التي ذكرت ما كتبتهُ لك بشأن النور الخامس. وعلى عاتقك يا بُني ستقع مهمة الوصول إلى الكتب التي تتحدث عن ذلك النور لإخفائها كي لا تصل يد الأشرار إليها، كي يَسلم وتَسلم معه البشرية. أما كيفية استرجاع عرش اطلانطس من أيدي الخونة فستجده في محتوى الكتب التي مع هذا الكتاب الذي وجدت فيه هذه الرسالة ولا أعلم هل قرأتها بعدُ أم لا؟

ملك اطلانطس سامان الحادي عشر "

بعد أن قرأ ياقوت تلك الرسالة التي هي من والده، كان في نفسه أن يجهش بالبكاء إلا أن حالته لم تسمح له بذلك فاستسلم ورضي بأن يبكي بصوت أهدأ من صمت الليل، بصوت مكسور الخاطر، بصوت أمير سُلب عرشه ظلماً. أخذ يرثي نفسه رثاء طائر العندل لجناحه المكسور بصوته الذي تبكي لأجله قِطع الليل المظلم. نهض من مقاعد حديقة القصر التي كان جالساً عليها سار بضع خطوات فجلس على الأرض كجلوس الطفل اليتيم الذي ضربته زوجة أبيه ظلماً بعد أن ضم رأسه إلى ركبتيه. استسلم لأن يبكي وحديداً على الأرض التي كأنها كانت ستبكي معه رأفة بحاله. استجمع قواه، نهض ليجلس على مقاعد ذلك الكوخ وفتح ذلك الكتاب الذي وجد فيه تلك الرسالة، والذي يحمل عنوان (مكر قوم صالح والشقي الثاني). وما أن فتح ياقوت ذلك الكتاب حتى سقطت من بين صفحاته ورقة أنهكها الزمن، ورقة صفراء بالية ممزقة الأطراف، عرف ياقوت

بعد أن دقق النظر فيها أنها ملخص لما جاء في ذلك الكتاب، حيث لخص الكاتب ذلك الكتاب في تلك الرسالة التي تقول:

"لا أعلم متى وأين؟ ولكن هناك كَرّة أخرى لقومِ صالح الذين سيجدون ناقة أخرى مع فصيلٍ لها يطلبها قومٌ في آخر الزمان من نبيٍّ لهم. ولكن هؤلاء القوم سرعان ما سيقتلون الناقة وفصيلها، لقد اتفق عدد من المنجمين العظماء على وقوع تلك الحادثة واختلفوا في زمانها إلا أن أغلبهم قد اتفق على أنها ستحدث بعد أن يولد أربعة أنوار. إلا أن الفاجعة الكبرى لم تنتهِ بعد، إذ إن القوم سيتآمرون على فصيل الناقة الآخر ليقتلوه وبذلك لا أعلم هل ستحتمل الأرض البقاء والصبر على تلك الفاجعة التي ستحدث على ظهرها أم أنها ستطوى وتقع السماء على الأرض، إذ إن الذي سيُقتل هو النور الخامس. هذا ما اختلف فيه كبار المنجمين فبعضهم قال ستطوى الأرض عن آخرها والبعض الآخر قال هناك احتمالية الرحمة فلا تطوى.

هذا هو ملخص الكلام الذي كتبته عن لسان المنجمين في هذا الكتاب.

المؤلف"

كان للإبهام في تلك الرسالة الحصة الأكبر، فلم يستطع ياقوت تفسير الرسالة، ولم يفهم منها إلا شيءٍ واحد وهو أن هناك كارثة ستقع. وعذاب ربما يكون غير مردود، غدرٌ، قتلٌ ودماء ووحشية ويعقب كل ذلك طيّ الأرض، فما المصيبة التي هي في أُفق ذلك الزمان التي لها قد تطوى الأرض؟...

هدوء، سكون، وصمت في جوف الليل... وإدراك متأخر

في بلاط قصر اطلانطس،..... كل الوزراء وكل المستشارين وكل الضباط وأصحاب الرتب العليا وكل التجار. الكل قد جثا على ركبة واحدة ومحني الرأس، كل منهم قد وضع يده اليمنى على صدره والأخرى يستند بها على الأرض، احتراماً للمجلس الأعلى لاطلانطس الذي شقهم إلى سماطين، والذي مرَّ من أمامهم. المجلس الأعلى يتكون من خمسة رجالٍ كبار يعلوهم الشيب بلحيةٍ بيضاء هؤلاء هم أصحاب الكلمة من بعد الملك ملك اطلانطس. وهم المشرفون على تنصيب الملوك من ملك إلى ملك.

كبير المجلس واسمه برهان بعدما اعتلى ومن معه على صرح العرش في البلاط، قال مخاطباً كبير الوزراء عامر بصوته الذي يُسمع صداه من كل جانب: أيها الوزير عامر ما آخر المستجدات التي لديكم بشأن اختفاء الأمير فردوس.

الوزير عامر بعد ما نهض ونهض معه كل رجالات الدولة، فقال بتلكؤ: سيدي يؤسفني أن أخبركم بأننا لم نعثر على أي دليل يدلنا للأمير، ولكن أصدقكم القول بأن..... فقاطعه الكبير برهان: وما سبب اختفائه أيها الوزير.

عامر: لا عِلم لنا يا سيدي، فقد كان اختفاءه أمراً محيراً لنا، غير أننا لم ..... يقاطعه كبير آخر للمجلس واسمه سرمد: أيها السادة يا رجالات الدولة المحترمين، اعلموا بأننا نواجه أكبر خطر يهدد أمن الدولة، فباختفاء الأمير بَقِيَ العرش من دون ولي يأمر وينهى. وهذا ما لم يحدث في تأريخ اطلانطس أبدا.

يتدخل الكبير الثالث واسمه نوح: سيعقد المجلس الأعلى لشؤون الدولة اجتماعاً هذا اليوم وسنعلمكم بالنتائج والقرارات التي سنتوصل لها غداً. والآن فليذهب كلٌ منكم في عمله..... بعد أن تفرق القوم، قال الوزير عامر لأحد حراسه الخاصين: اذهب وأختبئ في غرفة الاجتماعات، عليك أن تعرف ما هي القرارات التي سيتوصلون إليها، أفهمت؟

الحارس: عُلم يا سيدي.

أثناء الاجتماع يجلس كل من برهان وسرمد ونوح وسنان وإلياس، حول طاولة مستديرة، لمناقشة الوضع الذي وصلت له اطلانطس من اختفاء الأمير فردوس الذي كان مقرراً أن يصبح ملكاً على اطلانطس.

برهان مبتدأ الاجتماع: إنكم تعلمون أيها السادة الكرام، بأني لا أتخذ رأياً من دونكم، وهذا ما تنص عليه شريعة اطلانطس، لذا تفضلوا وأخبروني بآرائكم.

إلياس: إن لم يمانع السادة الأعضاء سأتكلم أنا أولاً، نحن نعلم بأن الملك الراحل سامان قد أعلمنا بأن هناك من يخطط للانقلاب عليه، وقد قدم لنا دليلا على ذلك الكلام بعد أن ترددنا بتصديق ادعائه، وهو اختفاء الأمير فردوس فور موت الملك، والآن أيها السادة الكرام فنحن يجب أن نتحمل مسؤولية ما حصل.

نوح: إن ما تفضل به السيد إلياس لهو الحق، نحن الذين لم نصدق بما تنبأ به الملك الراحل سامان، بالانقلاب السري الذي كان سيحدث ضده، فبدل أن نأخذ احتياطاتنا وأن نمنع حدوث ما حدث بالفعل، رحنا نتكلم بأمجاد اطلانطس وأن لا وجود لمثل هذا الانقلاب وكذّبنا كتب التنجيم التي لم تخطئ سابقاً.

سرمد: لقد وقعت الفأس بالرأس، وما عاد يجدي الندم نفعاً، فإذا أردنا أن نتدارك الأمور ونعيد إصلاح كل شيء، أنا أرى أن نقوم برفع الحصانة عن كل الوزراء والمستشارين وكذلك الضباط وعزلهم عن مناصبهم. وإن نقم نحن بإدارة شؤون الدولة. والتحقيق بهذه الحادثة، وأن نكشف الخونة الذين خططوا لذلك الانقلاب السري، الذي لا تعرف حكومة اطلانطس ولا شعب اطلانطس أي شيء عنه حتى اللحظة.

سنان: إن ما تفضل به السيد سرمد أيها السادة لهو الرأي الصحيح والصائب، إن من انقلب على الملك سامان وابنه الأمير فردوس قد لا يتردد بالانقلاب علينا في حال علمَ بأننا سنقوم بالتحقيق بهذه الحادثة لذا فإن الوقت ليس لصالحنا مطلقاً.

نوح: نحن أعضاء المجلس الأعلى يا سيد سنان، فمن يجرؤ أن يعصي أوامرنا أو يخطط للانقلاب علينا؟

سنان: صدقني يا سيدي إن الشر لا يعرف الحدود ولا القيود. فالذي انقلاب انقلاباً سرياً على الملك الراحل سامان، لا يهتم بمن هم أعلى منصباً أو أعلى رتبة منه. هل سمعت عن انقلاب سري من قبل؟ أن الذي دبّر هذا الانقلاب هل تنتظر منه أن يحترم من هم أعلى منصباً منه؟ كلا ورب الخليل.

إلياس: إذاً فنحن هم الهدف التالي بلا أدنا شك، والوقت ليس بصالحنا.

برهان: إذاً أيها السادة أعضاء المجلس الأعلى لحكومة اطلانطس. لدينا كل المستجدات التي علينا دراستها جيداً، والتي سنطرحها في اجتماعنا التالي والذي سيكون في منتصف هذه الليلة لأن الوقت ليس بصالحنا كما تفضلتم.

لم يكن لدى أعضاء المجلس أي علم بأن هناك جاسوساً تابعاً للوزير عامر مختبئاً في غرفة الاجتماعات التي كانوا مجتمعين فيها. فبعد أن درس كل الأعضاء المستجدات التي تخص قضية اختفاء الأمير والانقلاب السري ليتوصلوا للقرارات التي عليهم اتخاذها في اجماعاهم الذي سيعقد في منتصف الليل، وهو الاجتماع الثاني لهم. ففي جوف الليل الذي بسط أجنحته السوداء المظلمة على كل شيء معلناً سلطته وهيمنته وتوليه زمام الأمور اسكتَ الأجراس والأنفاس، وفيه بات لا يسمع إلا نُهام البومة. حل الصمت الشديد في هذه المعمورة، صمت مرعب، صمت يا لشدة هدوئه، صمتاً لا يكسره شيء فقد أصبح هو السيد الذي بسط يديه على أرجاء المعمورة التي عمّها الهدوء، ذلك الهدوء الذي قال عنه الكبير برهان الذي كان يقف عند نافذة غرفة الاجتماعات وهو ينظر في الأفق البعيد، فقال بعد أن شعر بتحركات هادئة ومريبة في وسط الظلام الأسود الدامس: هدوء وصمت وسكون، وليل وظلام وتحركات لا توحي إلا بطارق سوء.

سرمد وهو يقترب من الكبير برهان: سيدي برهان مالي أراك شارد الذهن؟ لقد حان وقت الاجتماع.

برهان الذي ما زال يتمعن في افق السماء شاحب الوجه دون أن يلتفت لـ(سرمد)، حيث قال بصوت كسره الندم الشديد وبقلب خفّاق وصوت يحمل بعضاً من الخوف وزفرات حزن قال: لقد فات الأوان يا عزيزي سرمد..... لقد فات الأوان يا صديقي العجوز.

سرمد وقد وضع راحة يده على كتف الكبير برهان وينظر إليه بتوجس: ما قصدك يا سيدي؟ وأي أوان قد فات؟... ما أن أنهى سرمد استفهامه حتى تمت مداهمتهم. إذ يرفس الوزير عامر باب غرفة الاجتماعات ويدخل مع عشرين جندياً له طوقوا كل أعضاء المجلس الأعلى للدولة أثناء اجتماعهم الثاني بسيوفهم ورماحهم. وقف جميع الاعضاء بعد اندهاشهم لما حصل. فقال كبيرهم برهان الذي التفت إلى الجنود المدججين بسيوفهم ورماحهم: ما الذي تظن أنك فاعله أيها الوزير عامر؟

الوزير عامر بعد أن امتشق سيفه: كما قد توقعتم وكما توقعت كتب التنجيم اللعينة التي كادت أن تكشف أمري.

نوح: إذاً فهو الانقلاب يا عامر.

عامر: كما تفضلت به أيها الكبير نوح، إنه الإنقلاب إن الوزير عامر هو من سيتربع على العرش شئتُم أم أبيتم ذلك.

برهان بهدوء وهو يتقدم إلى الوزير عامر بخطوات هادئة وثابتة: عامر، إلى أين تريد أن ترسل اطلانطس بتهورك هذا؟

عامر والذي تقدم أمامه جنديين ليمنعا اقتراب الكبير برهان من الوزير عامر أكثر ورفعوا السيوف بوجه، عندها قال عامر من خلف الجنديين: حب السلطة والقوة وحب الكبرياء هو ما دفعني إلى ما دفعني.

سرمد بعد أن جلس وأشبك أصابع كلتا يديه ووضعهما على طاولة الاجتماع: إن ما أذهلني هو ليس الانقلاب أيها الوزير عامر، بل الذي أذهلني هو حكمة ودهاء

الملك الراحل سامان إذ إنه قد توقع أمر الانقلاب، وأخفى الأمير فردوس المسكين عن الأنظار. أتعلم لماذا اختفى الأمير فردوس يا عامر؟

عامر وقد ارتسم التوتر والخوف على وجهه:.....

سنان مشيراً بسبابته نحو عامر: اسمعني يا عامر، إن بخيانتك هذه قد حكمت على نفسك بالإعدام. إذ إن الملك الراحل سامان لم يُخفِ الأمير إلا لأجل أن يعود ذات يوم ليستعيد الحكم من الخونة. لسوء حظك يا عامر هذا ما تنبأت به كتب التنجيم أيضاً، شئت ذلك أم أبيت ذلك.

عامر بغضب وبأعلى صوته: كفى، كفى، كفى... لا أريد أن أسمع أي ترهات من أفواهكم اللعينة، وأنت أيها الكبير برهان، وبصفتك رئيس المجلس الأعلى وصاحب مسؤولية تنصيب الملك الجديد فأنت من سينصبني ملكاً على اطلانطس غداً.

برهان بهدوء: وكيف ضمنت هذا يا عامر؟

عامر وبعد أن أطلق ضحكة معبراً من خلالها عن أنه قد دبر مكيدة ما: غداً أيها الكبير برهان، غداً سترى كيف ضمنت أنك ستقوم بتنصيبي ملكاً على اطلانطس.

التفت الوزير عامر إلى كبير حراسه قائلاً له: احبسهم في هذه الغرفة حتى صدور أوامر جديدة مني. وإن أقترب كل من الوزيرين آدم ورواح فلا تدعهم يقتربون من هذه الغرفة مطلقاً، وأخبرهم بأن أوامر السيد برهان اقتضت بذلك.

واسمحوا للوزراء الآخرين إذا ما أرادوا الدخول إلى هنا. وكذلك اغلقوا تلك المنافذ وليقف حارسان هنا، لمنع أي أحد من الأعضاء من الاقتراب منها.

كبير الحرّاس: أوامرك مطاعة يا سيدي.

بعد أن غادر الوزير عامر مع رجاله وترك بعضاً منهم في الغرفة والبعض الآخر يحرسونها من الخارج قال برهان الذي جلس على الطاولة التي كانوا من المقرر الاجتماع عليها، مطأطأ الرأس وبصوت كسره الحزن: إن ما أحزنني أيها السادة ليس أنهم قد غدروا بنا أيضاً، بل إن ما أحزنني هو أننا لم نصدق بما قد أخبرنا به الملك الراحل سامان وبدل كل ذلك رحنا نتكلم بأمجاد حكام اطلانطس. وأسفاه على سامان الذي تركناه وحيدا فريداً بين هؤلاء الضباع.

نوح: إن المحزن أكثر يا سيد برهان هو الأمير فردوس، فيا ترى أين أراضيه الآن؟

سنان: هل لاحظتم شيئاً غريباً أيها السادة؟

سرمد: لعلك تقصد أن الوزير عامر قد أعلمنا من حيث لم يُدرك بأن كل الوزراء خونة إلا الوزير آدم و والوزير رواح.

سنان: نعم بالضبط هذا ما قصدته.

إلياس: يجب على الأمير فردوس أن يعرف من معه ومن عليه، فالمسكين لا يدري من عدوه الحقيقي ومن هو صديقه من الوزراء.

برهان: القتال لأجل الكرسي لا يضر بمن قاتل لأجله فقط بل بالشعب كذلك.

"صفيّ الله"

الوزيران آدم ورواح يدخلان باب القصر الداخلي والخارجي مسرعين، وعلى عجالة من أمرهما والفرح قد تربع على وجهيهما. زينت وجهيهما ابتسامة عريضة، تجعد جبين كل منهما بخطوط عرضيه بسبب الفرحة التي غمرتهما. فقال الوزير آدم بعد أن وصلا إلى بلاط حكم اطلانطس داخل القصر حيث يتواجد هناك كل من الوزراء والمستشارين والضباط الكبار وأرباب الحكم. وبعد إلقاء التحية: أيها الوزير عامر لقد سمعت منادياً خاصاً بالقصر ينادي في العاصمة بأن اليوم هو يوم تنصيب ملكاً جديداً لاطلانطس، فهل عاد الأمير فردوس؟

إن الوزير عامر يعلم بالمكانة التي يحظى بها كل من الشابين آدم ورواح عند الملك سامان والأمير فردوس فهما الشخصان الوحيدان من بين حكومة اطلانطس يعرفان الأمير فردوس وجهاً لوجه إضافة إلى المجلس الأعلى لاطلانطس، وهما الشخصان الوحيدان اللذان لم يقدما على خيانة الملك وابنه الأمير. لذا فإن الوزير عامر أخذ كل الحيطة والحذر منهما. فقال الوزير عامر عند ذلك: وهل اطلانطس خلت ممن يجدر بأن يكون ملكاً عليها أيها الوزير آدم؟

ما أن سمع كل من آدم ورواح ذلك الكلام حتى شعرا بخيبة أمل قتلت الابتسامة التي زينت معالم وجهيهما، واكتسحهما الحزن الشديد. فقال رواح بتجهم بعدما قطب حاجبيه: أيها الوزير عامر ظننا أن الأمير فردوس قد عاد، فإذا كان غير ذلك فما بال المنادين الخاصين بالقصر يدعون الناس ليشهدوا تنصيب ملكاً جديداً على اطلانطس؟

فواز: أيها الوزير آدم وأنت أيها الوزير رواح، نحن نعلم بأنكما صديقان مقربان من الأمير فردوس، ولكن ينبغي على اطلانطس أن لا تبقى دون ملك يدير شؤونها. لذلك فإن المجلس الأعلى لحكومة اطلانطس سيعينون ملكاً جديداً لاطلانطس وهم داخل الغرفة الخاصة بالاجتماعات الآن.

قطب آدم حاجبيه وعبس في وجوه القوم قائلاً: ما هذا الكلام النتن الذي تتفوهون به، أي ملك سيُنَصب على اطلانطس ونحن لا نعرف أي خبر عن الأمير فردوس؟

عامر وقت تقدم خطوة للأمام: أيها الوزير آدم.....

آدم وقد قاطع عامر بصوت مرتفع: لا أريد أن أسمع أي كلامٍ آخر..... هيا يا رواح تعال معي سنذهب إلى أعضاء المجلس الأعلى، لنفهم ما القصة.

عامر وقد تقدم خطوتين: على رسلك أيها الوزير آدم، فقد أعطى الكبير برهان أوامر صارمة بعدم مقاطعة الاجتماع.

لم يهتم آدم ولا رواح لما تفوه به الوزير عامر، حيث صعد آدم مع رواح إلى الطابق الثاني من القصر قاصدي غرفة الاجتماعات ولكن الحراس الذين تركهم الوزير عامر عند باب غرفة الاجتماعات حالوا دون ذلك، حيث قال كبير الحراس: أرجو المعذرة أيها الوزير رواح، فقد أعطاني الكبير برهان أوامر صارمة تفي بعدم مقاطعة الاجتماع لأي كان.

وضع الوزير آدم قبضته على قبضة سيفه وعينيه تكادان أن تخترقا عيون الحراس حيث تذكر أيام الطفولة وأيام الصبا التي قضاها برفقة الأمير فردوس، كان سيجرد سيفه لو لم يوقفه صديقه رواح، بعدها خرجا من القصر.

دخل الوزير عامر عندما خلا له القصر من آدم ورواح إلى غرفة الاجتماعات التي احتجز فيها أعضاء المجلس الأعلى. فقال بعد أن وقف أمام نافذة غرفة الاجتماعات قال مخاطباً الكبير برهان: أيها الكبير برهان هلا جئت إلى هنا.

لم يهتم الكبير برهان لمناداة عامر له. فأومأ عامر لحارسين من حراسه مشيراً لهم بأن يُحضروه بالقوة بالقرب منه وقرب النافذة. وعندما فعلوا ذلك قال الوزير عامر مشيراً من النافذة: هل تعرف ذلك الشخص الذي جاء برفة أولئك الجنود في باحة القصر؟

ارتعد الكبير برهان، وشحب وجهه، وأراد أن يتهجم على عامر، ولكن إمساك الحراس له حال دون ذلك... فقال سرمد: أيها الكبير برهان ماذا هناك؟

الكبير برهان وقد حرر نفسه رغم كبر سنه من أيدي الحراس وامسك الوزير عامر من طاقيته مزمجراً في وجهه ودفعه بقوة حتى أسقط عامر أرضاً قائلاً له: اسمعني يا عامر أيها الوغد الحقير إعلم بأنك قد تماديت كثيراً، إلى ما ترمي بفعلك هذا؟

أمسك الحراس الكبير برهان مجدداً، واستوى جميع أعضاء المجلس واقفين بعد أن كانوا جالسين على طاولة الاجتماعات. فقال نوح: أيها الكبير برهان أقسم عليك بإبراهيم الخليل إلا ما أخبرتنا ما أبصرت من هذه النافذة؟

خارج النافذة ..... حيث أبصر الكبير برهان من خلال النافذة وتحديداً إلى ساحة القصر رأى صبياً تعجز الأقلام والألسن عن وصف جماله. وهذا الصبي هو ابن الكبير إلياس. فقال عامر بكلام مبطن بالتهديد والوعيد: على حد علمي أن السيد إلياس لا يملك غير هذا الصبي الذي جاءه بعد دعوات ونذور مستمرة منه كي يُرزق بولد. ورُزق المسكين بهذه الدرة ولا أعتقد بأنك ستُفرِّط بها وتقتل الكبير إلياس قهراً أيها الكبير برهان.

إلياس بذهول وقد تقدم راكضاً نحو النافذة رغم منع الحراس له وهو ينظر باندهاش إلى ولده الوحيد مرتعد الفرائس شاحب الوجه حيث منعه الحراس من التهجم على الوزير عامر بعينين دامعتين وقد جثا على ركبتيه وقد أسند جسده على كلتا يديه المسندتين إلى الأرض. أسرع إليه كل أعضاء المجلس، هذا من يمسح الدموع عن عينيه وهذا من يسنده وهذا من يُجلسه على كرسي إلى طاولة الاجتماعات. وهم يشعرون بالذُّل والإهانة التي تعرضوا لها. فقال الوزير عامر: سأقولها صراحة وقد بتّم تعلمون جرأتي وعدم ترددي على فعل أي شيء، إن أردتم أن تحافظوا على سلامة ابن الكبير إلياس فيجب أن أُتوّج ملكاً على اطلانطس في صباح الغد. وبخلاف ذلك لن أتوانى بسفك دم تلك الدرة التي لم أر في اطلانطس جمالاً أكثر من جمالها. فحرام على مثل تلك الياقوتة أن تموت في مثل هذا السن. أيها الكبير برهان بما أنك أنت المسؤول عن مراسيم التتويج، فحياة ابن الكبير إلياس بين يديك الآن، فإما أن أقتله أو ستتوجُني غداً ملكاً على اطلانطس وهذا آخر كلام لي.

قال الكبير برهان لأعضاء المجلس بعد أن خرج الوزير عامر وبعض من حراسه من غرفة الاجتماعات وهم جالسون على طاولة الاجتماعات: إن الله -

سبحانه وتعالى- أعلى واسما من أن يترك هذه الأرض دون وريث يكون بمثابة الحبل المتصل بينها وبين السماء. فبعد كل نبيّ مرسل لا بد من وجود وصيّ بعده وهذا الوصيّ لهوَ من أشرف وأطهر خلق الله في السماء والأرض. ادخره واصطفاه الله على سائر خلقه. وهذا الوصيّ أيها السادة هو "صفي الله". كل كتب التنجيم التي قرأنها يا أعضاء المجلس تؤكد صدق كلامي. أن ما باتت عليه اطلانطس مثلها اليوم كمثل تلك الأرض التي اضحت بالظاهر دون وريث، ولكنّ رحمة الله تأبى ذلك...

"لكل حقبة مظلمة لا بد من أن يكون هنالك مخلّصٌ يُخلِّص الأرض من ظلمتها وطواغيتها"

"قوم صالح وكرة أخرى"

بعد أن قرأ ياقوت تلك الرسالة التي هي من والده، كان في نفسه أن يجهش بالبكاء إلا أن الوقت وخوفه من أن يكسر هدوء الليل حال دون ذلك، فسلم أمره لله ورضي بأن يبكي بصوت أهدأ من صمت الليل، بصوت مكسور الخاطر، بصوت أميرٍ سُلب عرشه ظلماً، لا ناصرا له ولا معين، أخذ يرثي نفسه رثاء طائر العندل لجناحه المكسور بصوته الذي تبكي لأجله قِطع الليل المظلم ونجومه المتناثرة. نهض من مقاعد حديقة القصر التي كان جالساً عليها، سار بضع خطوات فجلس على الأرض كجلوس الطفل اليتيم الذي ضربته زوجة أبيه ظلماً بعد أن ضم رأسه إلى ركبتيه. استسلم لأن يبكي وحديداً على الأرض التي كأنها كانت ستبكي معه رأفة بحاله، ثم قام من مكانه ليجلس مرة أخرى وسار بضع خطوات ليجس ثانية على الأرض كمندهش حيران لا يعلم ما هو الصواب عمله. استجمع قواه، نهض ليجلس على أحد المقاعد حتى الصباح. في صباح اليوم التالي، اقتربت مرجان بهدوء وعلى استحياء من تلك المقاعد التي كان يجلس عليها ياقوت: صباح الخير يا ياقوت.

ينظر ياقوت لمن القلى عليه التحية ليتفاجأ بأنها سيدة ومالكة القصر التي كسرت عادتها باستيقاظها مبكراً هذا اليوم. ففاجئها هو الآخر بمنطقه الفذ كالعادة عندما قال: أهلاً بالسيدة مرجان صاحبة الوجه الأبلج الجميل والشعر الطويل والطرف الكحيل، حمراء الشفاه والعطر الفواح، والتي استيقظت مبكراً على غير عادتها.

ابتسمت السيدة مرجان لذلك، بعد أن زادت ضربات قلبها لمجاملة ياقوت لها واحمرّ وجهها خجلاً. فقالت بعد أن جلست مقابلة له على تلك المقاعد: أحقا أنا كما وصفتني يا ياقوت؟

هبَّ نسيم لطيف على الجالسين في الحديقة، حرك الشعر السرح لـ(ياقوت) مما زاد إعجاب السيدة مرجان بجماله العجيب. فقال ياقوت رداً: هذا ما يراه ياقوت يا سيدتي.

اكتسحت المكان فترة صمت ليست بالقصيرة، فالسيدة الخجول ينعقد لسانها أمام ياقوت الذي علم بأنها خجلة من الكلام معه بأمور خارج إطار عمله، لذا أراد ياقوت استغلال خجلها الآن بأمور تنفعه معرفتها. "فالإنسان إذا ما أصابه شديد الخجل سيُدلي ببعض إن لم يكن بالكثير من الأسرار التي سكنت صدره دون أن يشعر بأنه قد نطق ببعضها إن لم يكن بأكثرها. فقال ياقوت: سيدتي مرجان؟

مرجان التي تلعثمت ونظرت إلى عيني ياقوت، وعلمت أن هنالك ما يريد أن يتكلم معها عنه: نعم... نعم يا ياقوت هل هنالك ما تريد قوله؟

ياقوت: في الحقيقة يا سيدتي لديَّ سؤال فضولي. ما سبب تدهور صحتكم وإغمائكم لحظة أن سمعتي اختفاء الأمير فردوس في يومي الأول هنا؟ هل تتذكرين ذلك؟

السيدة مرجان بعد أن زفرت بحزن ونزول أجفان عينيها قليلاً، وكأن كلماتها قد خرجت بلوعة من بين حبالها الصوتية، فقالت: في الحقيقة يا ياقوت كان من المفترض أن نتزوج أنا والأمير فردوس.

ياقوت بعد اتساع عينيه، واندهاشه لهذا الأمر الذي لم يكن على علم به سابقاً، وبسبب اندهاشه المفرط قال ومن دون قصد: ولكن كيف تتزوجينه وأنت لم تريه سابقاً يا سيدتي؟!

كان على ياقوت أن لا يتفوه بمثل هكذا كلام، إذ إنه يمثل دور الخادم الذي غلّف شخصيته الحقيقة. لذا وبسبب تفاجئ السيدة مرجانا والتي سألته: ولكن كيف علمت يا ياقوت بأنني لم أر وجه الأمير فردوس في السابق؟

تناثرت الكلمات من لسان ياقوت كتناثر خرزات القلادة التي قُطِع حبلها. حيث راح يبحث عنها في سبيل إيجاد حلٍّ لينقذ الموقف الذي صار فيه بسبب تغلب ذهوله عليه. فكيف علمَ الخادم بأن السيدة لم تر الأمير في السابق؟ فكررت السيدة سؤالها بسبب عدم إجابة ياقوت لها: ياقوت كيف علمت بأنني لم أر وجه الأمير فردوس في السابق؟

ياقوت مدعياً: سيدتي إن التاجر شعيب هو من أعلمني بذلك.

لقد زاد ياقوت الطين بلة أكثر، إذ إن مرجان قد صدمته أكثر وصمّت أذنيه عندما قالت له: عجيب! ولكن كيف علم التاجر شعيب بذلك أيضاً؟ فخبر زواجنا الذي كان سيحدث بيني أنا والأمير كان سراً بيني وبين الملك الراحل سامان - رحمه الله-.

بسبب اندهاش ياقوت من أمر زواجه من السيدة مرجان والذي لم يكن على علمٍ به. تفاجئ وطرح أسئلة ما كان يجب عليه أن يطرحها. لذا كان على وشك أن

يقع في مطبات كلامية لولا تدخل السيدة صفية وإعلام السيدة مرجان بأن التاجر شعيب قد وصل للقصر.

ذهبت السيدة مرجانا لترى التاجر شعيب. بينما بَقِيَ ياقوت مع السيدة صفية ليسألها: هل أرجعت الكتب إلى حيث ما كان؟

السيدة صفية: بني ياقوت، إياك وأن تقحمني في مثل هكذا أمور من شأنها أن تقتل الثقة في صدر السيدة مرجان التي هي لي.

ياقوت الذي نهض من المقعد الذي كان جالساً عليه واقترب من السيدة صفية: صدقيني يا أماه يؤسفني أن أقحمك بمثل هكذا مغامرة لا تدرُّ عليك سوى المتاعب. والآن هيا بنا لنرى ما الأخبار التي جاء بها التاجر شعيب؟

****

التاجر شعيب مدلياً بكل الأخبار التي معه بعدما سألته السيدة مرجان: إن الأخبار لا تُبشر بخير أبداً يا ابنتي. فالأمير قد اختفى دون أن يترك خلفه أي أثر يُذكر، فرغم النفير الذي أُعلن في جيش اطلانطس وشرطتها لأجل البحث عن الأمير إلا أن عناء بحثهم قد تكلل بالفشل.

وأمام مرأى من أعين ياقوت بكت السيدة مرجان بكاء فاقد الأمل بكاء الحبيبة لحبيبها الذي وارا خبره المجهول. أذرفت دموع الحزن المصحوبة بالنحيب وبالكاد قد سمعه من كان متواجداً معها في غرفة مكتب السيدة. نحيب حوراء لم يُخلق البكاء لها بالأصل. خرجت من غرفة مكتبها وهي تجر أذيال الخيبة معها

كما يجرها القائد الذي خسر معركة أُبيدَ فيها جيشه. ورافقتها السيدة صفية مصبِّرة عليها.

ياقوت بعدما رأى علامات الاستفهام البادية على وجه التاجر شعيب الذي بدوره رأى الغرابة من أمر السيدة مرجانا بسبب بكائها الذي لا يخلو من سر فقال ياقوت مجيباً تساؤلاته: إن بكاءها لأجل الأمير فردوس يا شعيب، فلقد كان مقرراً بأن يتزوج الأمير فردوس من السيدة مرجان إلا أن اختفاء الأمير فردوس حال دون ذلك.

التاجر شعيب: ومن أخبرك بهذا يا سيدي؟

ياقوت: قلت لك لا تناديني بـ(يا سيدي)، هل تريد أن تفضح أمرنا؟!.

شعيب مستدركاً: أرجو المعذرة يا سيدي... اقصد يا بني، ولكن من أخبرك بأنه كان مقرراً أن يتزوج الأمير فردوس من السيدة مرجان؟.

ياقوت: هي من أدلت لي بهذا الكلام. ولكن ما حيرني يا شعيب هو لماذا أنا لست على علمٍ لهذا الأمر مثل ما كان لها ذلك؟ لماذا لم يخبرني أبي أو يخبرك أنت؟

شعيب بعد ما أطال النظر في وجه فردوس دون أن ينتبه لذلك. وبسبب العدد الهائل من التساؤلات التي ضربت رأسه وبسبب فرط اندهاشه من هذا الخبر كان فمه مفتوح وعيناه كذلك أكبر من المعتاد. راح يقول في قرارة نفسه: "هنالك أمرٌ غير طبيعي! نعم هنالك سرٌّ ما، فالملك سامان الذي استأمنني على ولده الأمير فردوس واستأمنني على أسراره الصغيرة والكبيرة، فلماذا لم يخبرني بأنه قرر أن يزوج السيدة مرجان من الأمير فرودس؟ لماذا؟ لماذا؟

لماذا؟... هنالك قطعة غير مكتملة في هذه الأُحجية!!! ما هي الخطة التي وضعها الملك الراحل لهذا الأمر؟ ما القصد من هذه الحركة؟

عندما كان التاجر شعيب يكلم نفسه لم ينتبه لـ(ياقوت) الذي كان يناديه رغم أن ياقوت كان جالساً بالقرب منه، وللمرة الثالثة قال ياقوت: أنا أكلمك يا شعيب فأي بحر هذا الذي سرحت فيه؟!

شعيب: بني ياقوت، هنالك أمر غير طبيعي، فلماذا لم يخبرني أو يخبرك الملك سامان بأنه قد قرر أن يزوج السيدة مرجان من الأمير فردوس؟

ياقوت: هنالك سببان لهذا الأمر وكلها لا تستدعي شرود ذهنك أو أن تتعب نفسك بالتفكير. هنالك سببان وكلاهما في مصلحتنا. فالسبب الأول يا شعيب هو أن والدي -رحمه الله- علمَ بأن شديد الذهول سيصيبنا عند فرارنا من العاصمة اطلانطس فلوا أخبرنا بأنه قد قرر أن يزوج السيدة مرجان من الأمير فردوس فإن أحدنا سيخرب كل الخطة التي وضعها الملك الراحل من الأساس عندما يخبر السيدة مرجان أني أنا هو الأمير فردوس وقد يحدث ذلك يا شعيب دون قصد منا بسبب الخوف الذي أحاط بنا. أما السبب الآخر هو أن هنالك شخصاً رابعاً يعلم بأن السيدة مرجان لن تتزوج إلا من الأمير فردوس يا شعيب وهذا الأمر يصب بصالحنا حقاً إذ إنه سيكشف لنا أول الوزراء الخونة. فعلى الأغلب أن السيدة مرجان أخبرت من تقدم لها بالزواج بأن الملك سامان قد خطبها للأمير فردوس. أي أن الخائن يا شعيب سيكشف وبسرعة كبيرة أن الأمير فردوس هو من سيتزوج من مرجان وعندها لن يُبقوا له باقية.

شعيب باندهاش: ولكن كيف علم ذلك الشخص أن مرجان ستكون زوجتك؟

ياقوت بابتسامة تدل على ثقته: كل الاستنتاجات التي توصلت لها تقول أن ذلك الشخص قد استطاع أن يعرف ذلك قبل وفاة الوزير (غياث) والد مرجان، إلا أنه قد أراد التأكد من ذلك الكلام أكثر فتقدم لخطبة السيدة مرجان واستطاع أن يقطع الشك باليقين عندما أخبرته مرجان أن كتابها مكتوب على الأمير فردوس.

شعيب: أي أننا نتعامل مع داهية ماكر؟

ياقوت: والآن ما علينا سوى أن نسألكِ يا مرجان من مِنَ الوزراء الذين طلبوا يدكِ للزواج؟ **"إن الخيانة ليست مجرد ضربة تمر مرة واحدة، بل هي كخنجر يُغرس في خاصرة من تمّت خيانته، وسيعاني منه ما دام قلبه ينبض"**

بداية الظهور

من داخل مكتب القصر، بواب القصر مخاطباً مرجان: تحية طيبة سيدتي.

السيدة مرجان: أهلا بك أيها الحارس، ماذا هناك؟

بواب القصر: هذا كتاب قد سلّمه لي رسول من العاصمة وعليه الختم الملكي الخاص بملك اطلانطس.

دخل كل من التاجر شعيب وياقوت إلى غرفة المكتب بعدما سمعوا النديمة صفية وهي تستغيث بالتاجر شعيب، حيث وجدوا السيدة مرجان مُنْهَارَة والنديمة صفية كانت تصبِّر عليها. باستغراب سأل شعيب بعدما اقترب من الاثنتين: ابنتي مرجان... ما الذي جرى أيتها النديمة؟

صفية: لقد انهارت بعد أن قرأت هذا الكتاب الذي أُرسل لها من العاصمة اطلانطس ولا أعلم ما الذي جاء فيه كي تنهار هكذا؟.

يأخذ شعيب الكتاب ليقرأ بصوت يسمعه ياقوت:

"من الملك الجديد لاطلانطس الملك عامر إلى السيدة مرجان التاجرة الكبيرة، تحية طيبة...

أما بعد:

لقد كلفني المجلس الأعلى لاطلانطس بمهمة حكم اطلانطس لذا أتمنى أن تتعاونوا معي لأجل إدارتها. وأنا أعلم بأنكم لن تخيبوا ظني فيكم، وانتظروا مني الأوامر بشأن ذلك.

ختم ملك اطلانطس عامر".

ينظر شعيب لـ(ياقوت)، وكأنه الفارس الذي خسر الجولة الأولى، بمخزونٍ قليل من على أمل الفوز بالجولة القادمة. لقد كانت بحق نظرات شخص خنقته العبرة، بتلك العينين الدامعتين واللتين بأن الدمع على مشارفها. حيث قال بعد أن سقط الكتاب دون أن يشعر من بين يديه وهو يقول: بني ياقوت لقد ساءت الأوضاع أكثر، ما العمل الآن؟

صفية بصوت مرتفع: يا إلهي إن حرارتها ترتفع أرجوكم فليستدعي أحدكم حكيم القصر.

لم يحسب شعيب أن عامراً سوف يُنصَّب حاكماً على اطلانطس. لذا أُصيب بخيبة أمل بالمجلس الأعلى لاطلانطس بعد أن نصّبوا الوزير عامر ملكاً على اطلانطس. فالمجلس الأعلى كان هو الورقة الأخير التي بحوزة ياقوت وها هو الآن قد خسر تلك الورقة بعجلتهم بتنصيب الوزير عامر ملكاً على اطلانطس. فالشريعة السياسية لاطلانطس تنص على أنه إذا ما حدث حدثاً ما يجعل اطلانطس دون ملك يأمر وينهي فيها، فلا بد على المجلس الأعلى أن يتولى زمام أمورها، وينصّب الملك الجديد بعد سنة من وفاة ملكها أو أي حدثٍ آخر يجعلها دون ملك متربع على عرشها. وتساءله الشديد هو ما الذي جرى ليتم تنصيب الوزير عامر بهذه السرعة.

فبعد أن طمئنهما حكيم القصر عن السيدة مرجان، واستقرار حالها. قال التاجر شعيب لـ(ياقوت) متسائلا: برأيك يا بُني، ما الذي دفع المجلس الأعلى لاطلانطس أن ينصبوا الوزير عامر بهذه السرعة؟

ياقوت وبعينيه الزرقاوين وبابتسامة مصطنعة، الجالس وأصابع يديه المختلفة فيما بينها، وهو محني الرأس كشخص سرح في سلسلة من الاستنتاجات، استنتاجٌ يجر استنتاجاً: إن في رأسي موالٍ لا يكتمل إلا بشهادة السيدة مرجان يا شعيب، فشهادتها كفيلة بأن تخبرنا بأمور كثيرة، أولها أن الوزير عامر هو أول الوزراء الخونة وهو أحد قتلة أبي.

صُعِق التاجر شعيب لهول ما سمع، تكلم بشيء غير معلوم مع ياقوت بسبب تلعثمه الشديد، فقال ياقوت مُصبّراً: على رسلك يا شعيب، ما علينا إلا أن نتأكد من مرجان فَهِيَ الشاهدة الوحيدة لدينا، وسأخبرك بكل شيء بعد أن نسألها من مِنَ الوزراء الذين طلبوا يدها للزواج؟

****

في غرفة السيدة مرجان، وبعد أن اطمأن التاجر شعيب وياقوت عليها، قال التاجر شعيب يسأل: ابنتي مرجان إن الملك سامان قد فارق الحياة ولا مهرب من التصديق بهذا الأمر مهما كان ذلك مؤلماً، ومهما كان الملك عزيزاً، واختفاء الأمير فردوس كذلك بات أمراً يجب أن نأخذ به. فهلا أخبرتيني يا ابنتي لمَ اغميَّ عليكِ عندما قرأتِ رسالة الوزير عامر بعد أن نُصّب ملكاً على اطلانطس؟

استوت مرجان جالسة بعد أن كانت ممددة على سريرها وهي تشعر بالتعب جراء إغمائها: إن سبب إغمائي يا شعيب هو أن بتنصيب الوزير عامر ملكاً على اطلانطس فقدت الأمل بعودة الأمير فردوس المسكين. فالحق أقول كان هناك أملٌ بداخلي يخبرني بأن الأمير فردوس سيعود مهما طال اختفاءه، ليس

هذا فقط يا شعيب بل هناك شيئاً بداخلي دائما ما كان يخبرني أن الأمير قريب مني.

اشاح ياقوت بوجهه عن التاجر والسيدة لينظر من النافذة إلى الخارج حيث رأى أن السماء بدأت تتوشح برداء ابيض يؤول للسواد، وهي الغيوم التي تُنبئ بطقس ممطر لهذا اليوم. حيث أردف التاجر شعيب مرة أخرى ليسأل السيدة مرجان: ابنتي مرجان هل طلبَ أحدهم يدكِ للزواج من قبل من قِبل أحد الوزراء؟

اكتسح وجه مرجان الاستغراب الشديد، بعد أن اتسعت عيناها: نعم لقد كان الوزير عامر. ولكن كيف؟ كيف علمت بهذا الأمر يا شعيب؟

فقال شعيب بصوت يدل على الثبات بعد أن أمر النديمة صفية بالخروج من غرفتها لترك الثلاثة بمفردهم، فقال مُجيباً: إن الذي أخبرني بذلك يا ابنتي هو الأمير فردوس.

أصاب السيدة مرجان وابلٌ من اضطرابات الجسد كالقشعريرة وازدياد ضربات القلب واصفرار الوجه وارتجاف الجسد بكامله بعد أن سمعت اسم الأمير فردوس. فقالت بعد تلعثم طول: من... من... من تقول يا شعب، هل تمازحني أم ماذا؟ إلا أنني اعلم بأنك لا تمزح بمثل هكذا أمور يا أبي. ولكن أقسم عليك بوحدة الأمير فردوس وغربته أن تخبرني أين هو الآن. أقسم عليك بعزيزك ورفقيك الملك الراحل يا شعيب أن تخبرني أين هو الأمير فردوس الآن؟

ابتسم شعيب ولم يُجب مرجان، بل اكتفى بذكاء السيدة مرجان لتخمن أين أو من هو الأمير فردوس؟ إلا أنها قد خمنت من يكون الأمير بعد أن حولت أنظاهرها

إلى ذلك الذي ما زال يتطلع من النافذة إلى السماء التي أصبحت ذا هيبة بمطرها الغزير. فقالت بعد أن نهضت: لطالما تساءلت لماذا أشعر بأنك قريب مني؟ لطالما أحسست بالأمان بعد أن دخلت قصري. ولطالما تساءلت لماذا تبدو لي بأنك صاحب شأن كبير؟

سارت السيدة مرجان نحوه وهي تجر بنفسها كما لو كانت تحمل أَثْقَالاً على ظهرها فقالت معاتبة بعد أن جثت على ركبتيها وأسندت نفسها بيديها على الأرض: ولكن لماذا؟ لماذا لم تخبرني بأنك أنت هو الأمير فردوس يا سيدي ياقوت؟ لماذا جعلت مثلي يأمر وينهى على مثلك؟ لماذا فعلت بي هذا يا... يا سيدي لماذا؟

استدار الأمير فردوس إليها وقال بعد أن ساعدها على النهوض: شاءت الأقدار أن يختفي الأمير وشاءت الأقدار أن يعمل خادماً وإلا فإن الأمير لن ينجو ممن غدروا به وبوالده لو أُكتشف أمره، لذلك كان لا بد أن تكوني جديّة معي.

لم تفهم مرجان ما قصده الأمير من ذلك الكلام فحدثها التاجر شعيب بما جرى من الألف إلى الياء.....

رحلة البحث عن النور الخامس

مرجان بعينيها الدامعتين وخجلها الذي منعها من ذرف دموعها بسبب خوفها على الرحلة التي سيقوم بها كل من فردوس وشعيب، رحلة البحث عن النور الخامس. ذلك السر الأعظم الذي حيره وحير التاجر شعيب. ذلك النور الذي أوصاه والده سامان -رحمه الله- عن التحقيق بأمره وإخفاء الأدلة التي تؤدي إليه خشية أن تسقط الكتب والمخطوطات والوثائق التي تؤدي إليه خشية أن تقع في الأيدي الخطأ.

مرجان وهي تودع شعيب وفردوس عند بوابة قصرها، والمدمع دونه قد حال بسبب خجلها من شعيب: هل ستتأخرون يا شعيب؟

شعيب: لا اعلم يا ابنتي فربما شهر أو ستة أشهر وربما سنة أو أكثر.

مرجان: ولكن أرجوكم اكتبوا لي بين كل فترة وأخرى كي أطمئن عليكم.

ابتعد شعيب عن مرجان وفردوس كي ينفردا ببعضهما عندما شعر بأن تواجده بينهما ثقيل عليهما. عندها قالت مرجانا لفردوس: للتو قد تعرفت عليك يا سيدي و وددتُ لو أنك تبقى أكثر.

فردوس: للقاء القصير حلاوة من نوع آخر يا مرجان.

مرجان: ولكنك ستجعلني أشعر بمرارة الندم الشديد. فلطالما تحسست من خبرك وبحثت عنك، وقد كنت تروح وتغدو أمام ناظريَ ولكن لم أعرف أنك أنت هو أنت.

فردوس: مرجانتي، يا من عذبني كحلها القاتم بسواده، وشعرها الكثيف الأشقر بخصلاته، كسواد الليل حالكة، وشفاهها الحُمر الفاتنة.

مرجان بعد أن احمرت وجنتاها خجلاً من مجاملة فردوس لها، وازدياد ضربات قلبها، لم تصدق أنها قد نطقت بهذه الكلمات بعد أن طأطأت رأسها للأرض: ليتك أخبرتني بهذا الكلام من قبل.

فردوس: الكلام الجميل يكمن لُب جماله عند الوداع، عندما لا يكون للكلام وقت للبوح به.

مرجان: ولكن هذا لي عذاب بحد ذاته.

فردوس: بل هو رونق اللقاء وحلاوته.

مرجان: بل هو لي عض السبابة ندماً، وصفق يدٍ بأخرى وزفير حزن، وشهيق اشتياق من جديد.

ياقوت: إن معدن الصداقة والألفة الحقيقية يزداد قوة عند ابتعاد الأحباب عن بعضهم بعض الوقت.

مرجان وقد رفعت عينيها الدامعتين لتلتقيا بعيني ياقوت: ولكن ما ذنبي أنا؟

ياقوت: هذا ثمن الحب الحقيقي الخالص، ينبغي على كل منا دفعه..

****

شعيب مخاطباً ياقوت بعدما ابتعدا عن مدينة هكتار: سيدي من أين سنبدأ البحث عن قضية النور الخامس؟

ياقوت بعد أن ضرب على لجام فرسه لينطلق بسرعة أكبر: حسب الكتب التي اطلعت عليها سنبحث أولاً في مدينة (سمرقند) الواقعة في البلاد التيمورية. يُقال إنها مدينة ذات شعب يحب العلم أن دل هذا على شيء فإنه يدل على انتشار المكاتب فيها، وقد قرأت أنها تملك مكتبة تحتوي على أثمن وأقدم الكتب ولا بد من أن نجد ضالتنا في (سمرقند) يا شعيب.

شعيب بعدما ضرب على لجام فرسه هو الآخر كي يلحق ياقوت: هل يمكنك أن تحدثني عما فهمته حتى الآن عن النور الخامس؟

ياقوت: صدقني يا شعيب لم أفهم شيئاً حتى الآن إذ إن كل ما جاء في الكتب التي اهداها أبي لي كان مبهماً كثيراً. ما استنتجته حتى الآن أن الذين كتبوا تلك الكتب التي تتحدث عن قضية النور الخامس تعمدوا أن يضعوا تلك الابهامات. إن دل ذلك الأمر على شيء فإنه يدل على أن تلك القضية هي قضية مهمة جداً ويجب أن تبقى بعيدة عن الأيدي الخطأ. إلا أن أحد الكتب التي قرأتها كان أكثر صراحة إذ إنه تكلم بدقة أكبر رغم حجم الإبهام الذي كان فيه.

شعيب محاولاً مجاراة سرعة فرس ياقوت بفرسه: وإلى ما توصلت من خلال ذلك الكتاب يا بُني؟

فردوس: لقد أشار إلى أن ذات يوم سيطلب أُناس من نبي لهم ناقة كناقة النبي صالح. ولكن هذه الناقة تختلف عن تلك إذ إن لها فصيلين. فبعد موت نبيهم سيقتلون الناقة وثم يقتلون فصيلها الأول وثم يقتلون فصيلها الآخر.

شعيب وقد آلمه قلبه ودمعت عينه لسبب مجهول بعدما سمع ذلك الكلام: يا لهم من أنذال وقُساة؟

فردوس: ولكن ليس هذا فقط يا شعيب.

شعيب: وماذا بعد أكثر من ذلك؟

فردوس: لقد ذكر ذلك الكتاب أن الأرض قد تموج بأهلها عندما يُقتل الفصيل الأخير، فقد تنطوي حزناً عليه وهذا يعني فناء البشرية. لأجل هذا طلب أبي أن أخفي الأدلة التي تؤدي إلى ذلك النور كي لا يُقتل وتُفنى البشرية. الفصيل الأخير هو نفسه النور الخامس بعدما درست وفسّرت الكتب التي تتكلم عنه، وبما أن الامثال تُضرب ولا تُقاس فلقد عبِّر الكاتب عن وصي النبي بالناقة، وعبّر عن ولدي الوصي بالفصيلين.

عالِمُ سمرقند

همهمة، همس، تعابير تجهم، وعصبية مكتومة وحواجب مُقطّبة. لأُناس كانوا مجتمعين حول شخص قد ملأ قلوبهم غيضاً بما يتفوه ويلقي بِالشُّبُهَاتِ الصعبة على مسامعهم والتي كانت تريد تفنيد دين النبي إبراهيم عليه السلام، وكانت تلك الوجوه الغاضبة بسبب أن أصحابها قد عجزوا عن ردّ تلك اَلشُّبُهَات التي يلقيها ذلك الشخص الذي اعتلا مرتفعاً أعلى منهم قليلاً كي يراه عامة الناس الذين اجتمعوا حوله في السوق مدينة سمرقند. كانت همهمة الناس فيما بينهم بسبب أن أحد علماء سمرقند وهو عالِمٌ بالفلك والتنجيم والرياضيات والمنطق واللاهوت والفلسفة ويدعى (طارق) قد كان يتبختر بسبب أن لا ندّ له كي يردّ على أقواله.

طارق: أنا لا أعلم كيف لأولئك الذين يقولون إن (الله) هو الإله الواحد الأحد؟ نحن العلماء لا نؤمن إلا بشيء نراه بالعين. الإله الذي لا تراه ليس من العقلانية أن نعبده لأنه غير موجود أصلاً. يا أيها الناس إنكم تعبدون إلهاً غير موجود، أي أنكم تعبدون الوهم، وتناجون هذا الوهم -ليل نهار- ليستجيب دعائكم فهل هذا منطقي؟ أو أن لذلك الإنسان الذي يناجي الوهم هل له عقل؟ هل من بينكم من يأتي ليرشدني أو يستطع الرد عليَ؟ مالكم ساكتون لا تجيبون؟ هل منكم من يستطيع مناظرتي؟

رفع أحدهم يده وكان ملثماً وقال: يا هذا... أنا أريد مناظرتك.

طارق بعدما بحث بعينيه بين ذلك الجمع الذي كان متجمعاً حوله عن صاحب الصوت الذي لبى طلبه في المناظرة: أين؟... من ذلك الذي قبل بالمناظرة؟

انشق الناس سماطين ليفسحوا طريقاً لشخصٍ ملثم بثياب جميلة كي يعتلي المنصة التي كان يقف عليها طارق الذي قال: ولكن هلا كشفت لي عن وجهك؟

الرجل الملثم: أفضّل المناظرة على هذا النحو.

طارق: وأنا لن أناظر شخصاً لا أرى وجهه.

طالب الناس الذين تجمهروا حولهما بأن يكشف ذلك الشخص الملثم عن لثامه. ولكنه ما أن كشف لثامه حتى صُدموا بجمال فذ، جمال ليس له نظير بسمرقند. جمال سحر عيون الناس حتى أنساهم سبب تجمعهم الذي هم فيه. إلا أنه كان غريباً عن سمرقند، فقال الشخص الغريب: ما المشكلة التي تواجهها يا هذا؟ ما هي الإشكالية التي أنت فيها؟

طارق بعدما أفاق من سرحانه في وجه ذلك الشخص الغريب: أنتم أيها الموحدون تقولون إن الله هو الإله الواحد الأحد؟

الشخص الغريب بعدما وقف وقفة تدل على ثقته بنفسه: نعم هذا ما نقرُّ به.

طارق: كيف تؤمن بشيء لم تره عيناك ولم تسمعه أذناك؟

الشخص الغريب: ومن قال شيئاً كهذا؟

طارق: أولم تقل أنا أعبد الله الواحد الأحد؟

الشخص الغريب: بلى.

طارق: إذاً كيف تعبد إلها لا تراه الأعين؟... مهلاً لحظة... هل تقصد بأنك تراه؟!

الشخص الغريب: نعم.

طارق بابتسامة خبيثة، ظناً منه أنه قد تمكن من الإطاحة بالشخص الغريب: إذاً صفه لي.

الشخص الغريب بعدما أدار بوجهه نحو الجمع الذي زاد عددهم أكثر عن السابق قال وقد أفرج يداه: حينما مرضت وضاقت الدنيا بعيني دعوته ليشفيني فرأيته الدواء لسقمي... وحينما تعرضت لجراح آلمت جسدي فما عدت أعرف للراحة من طعم دعوته للمدد فرأيته البلسم الشافي لجراحي... وحينما ضللت طريقي واسودت الدنيا بعيني فأيقنت أن لا خلاص لي إلا بيده فدعوته ليخرجني من محنتي فرأيته المرشد لي في ضياعي. فهل أيقنتَ الآن أنني أعبد رباً رأته عيون بصيرتي وقلبي؟!

طارق بعدما تفاجئ من الرد، قال: حسناً، أنتم تقولون إن الله قادر على كل شيء فهل يستطيع ربك أن يدخل هذه الدنيا في بيضة دجاجة شرط أن لا تصغر الدنيا ولا تكبر البيضة؟ وأتمنى أن تعطيني دليلاً واقعياً على إجابتك. هذا إن كانت لديك إجابة فعلاً[٦]

الشخص الغريب بعدما ابتسم: نعم إنه -سبحانه وتعالى- لقادر على ذلك.

---

[٦] هذه المناظرة مأخوذة من الواقع بين (الامام جعفر الصادق عليه السلام) وبين أحد الملاحدة المعروفين ويُدعى (عبدالله الديصاني) انتهت المناظرة بدخول (عبدالله الديصاني) إلى الإسلام .

طارق: وين الدليل؟

الشخص الغريب: سأسلك أولاً، هل تملك حَوَاسّاً؟

طارق وقد بانت على وجهه علامات الاستفهام: نعم أملك حَوَاسّ؟

الشخص الغريب: كم عددها؟

طارق: خمساً.

الشخص الغريب: ما أصغر تلك الحواس؟

طارق: أصغرها هي العين.

الشخص الغريب: هل يبصر الإنسان بواسطة العين كلها أم بواسطة جزء منها؟

طارق: لا بل بالبؤبؤ فقط، أي بجزء منها بحجم حبة العدس أو أصغر.

الشخص الغريب: هل يمكنك أن تخبرني ما ترى أمامك بواسطة هذا الجز الصغير الذي هو بحجم حبة العدس؟

طارق: أرى أمامي الجبال والوديان والسماء والقصور والبيوت والتلال والأنهار.

الشخص الغريب: إعلم يا طارق أن الله جل جلاله قد جعلك تبصر كل ذلك بواسطة بؤبؤ العين الذي هو بحجم حبة العدس، فالذي قدر أن يدخل كل الذي تراه عدسة العين أو أقل منها قادرٌ على أن يدخل الدنيا كلها في البيضة لا تصغر الدنيا ولا تكبر البيضة.

عندما سمع طارق ذلك الكلام وتلك الفلسفة اتسعت عيناه واصفر وجهه، فضلاً عن ارتفاع أصوات الناس وهي تحيي ذلك الشخص الغريب بسبب منطق جوابه. عندها قال طارق الذي علم أن هذا الشخص ليس شخصاً عادياً قال: حسناً، جواب علمي وواقعي. فهل يمكنك أن تجبني على سؤالي هذا: كيف تثبت أن لهذا الكون خالقاً ومُدبّراً لشؤونه؟

الشخص الغريب بعدما ابتسم ابتسامة يعبر بها عن احترامه لـ(طارق): حسناً يا سيد طارق هل تملك عيناً؟

طارق بعدما رفع حاجب وأنزل آخر بسبب سؤال ذلك الشخص الغريب: ما هذا السؤال الغريب؟!

الشخص الغريب: هلا أجبتني يا طارق؟

طارق بعدما عقد كلتا يديه: نعم لي عين؟

الشخص الغريب: ماذا تفعل بها؟

طارق: لأُبصر بها طبعاً!

الشخص الغريب: هل لديك يد؟

طارق: نعم!

الشخص الغريب: ماذا تفعل بها؟

طارق: أبطش بها وأتحسس الأشياء بها كذلك.

الشخص الغريب: هل لديك قدم؟

طارق: نعم!

الشخص الغريب: ماذا تفعل بهما؟

طارق: استخدمهما لأتنقل بهما من مكان لآخر!

الشخص الغريب: هل تملك دماغاً؟

طارق: نعم!

الشخص الغرب: ما مسؤوليته؟

طارق: إنه المسؤول عن تفسير ما تخبره تلك الحواس به وهو الذي يدبر ويدير شؤونها ويُدبر ويُدير شؤون الجسد.

الشخص الغريب: يا طارق أنت عالم من علماء سمرقند، فإذا كانت تلك الحواس بحاجة لقائد يدير شؤونها كالدماغ، فكيف لهذا الكون الشاسع من كواكبه إلى أصغر ذرة فيه أن يُترك من دون إله مُدبر ومُيسر ومُدير لشؤونه؟[٧]

طارق وقد بانت عليه علامات الاستسلام سار بخطوات هادئة نحو ذلك الشخص الغريب وعانقه ثم اتجه للجمع الذي حولهم وقال: أنا طارق التيموري، وأحد علماء سمرقند في الفلك والتنجيم والرياضيات والمنطق واللاهوت اشهد ألا إله

[٧] هذه مناظرة من الواقع، وقد دارت بين هشام بن الحكم (تلميذ الإمام الصادق عليه السلام) وبين عمرو بن عبيد (وهو شيخ القدريّة والمعتزلة). وانتهت بهزيمة عمرو بن عبيد. المناظرة التي خاضها هشام بن الحكم كانت لإثبات إمامة جعفر الصادق عليه السلام، والكاتب جعل المناظرة لإثبات وجود الخالق عز وجل.

إلا الله وحده لا شريك له. هو الله الإله الواحد الأحد هو خالق الأكوان الذي ليس كمثله شيء، وها أنا آمنتُ بما آمن به إبراهيم الخليل.

عندما سمع الناس تلك الكلمات التي تدل على أنه قد آمن بالله تعالى من العالم طارق وهو أحد أبرز علماء سمرقند صاحوا بأعلى أصواتهم فرحاً بانتصار الحق وأن أحد العلماء البارزين في سمرقند قد آمن بما يؤمنون.

طارق لافت نحو الشخص الغريب: ولكن ما اسمك أيها العالِم الفذ؟ لم تخبرني عن اسمك حتى الآن.

الشخص الغريب: أنا أدعى ياقوت.....

اشتياق وخوف

استضاف طارق كلا من ياقوت وشعيب في منزله في غرفة خاصة باستقبال الضيوف، حيث سُر كل من فردوس وشعيب بما رأياه، فقد رأيا أن جدران تلك الغرفة من أرضها حتى سقفها مغطاة بالكتب التي تبدو من منظرها كتبا حديثة وأخرى قديمة وثمينة، وأخرى بين القديم والحديث. عندما رأى طارق أن ضيفيه قد خُطفت عقولهما لحظة أن شاهدا كمية الكتب قال لهما: أرجوكما إن كنتما من محبي المطالعة فلا تترددان بانتقاء الكتب تلك، البيت بيتكم.

ياقوت وهو يهم بالجلوس في أحد جوانب الغرفة: يا سيد طارق، ما المحتوى الذي تتكلم عنه هذه الكتب؟

طارق وهو يجلس قبال ياقوت: سيدي إن هذه الكتب هي خليط بين الطب والرياضيات والفلسفة والمنطق واللاهوت وعلم الجمال وعلم الفلك والهندسة، وكذلك كتب التنجيم النادرة التي نُقلت عن لسان كبار المنجمين الذين كتبها منجمو بلاد سومر وكذلك منجمو بلاد بابل، والتي أمضيت سنوات ابحث عنها.

لحظة أن سمع ياقوت عن كتب التنجيم تلك حتى قاطعه بعينين تدلان على جدية أمره: كتب التنجيم؟

شعيب: هذا ما جئنا لأجله إلى سمرقند يا سيد طارق.

طارق باستغراب بعد أن مشط لحيته البيضاء بيده وقد رفع حاجباً وأنزل الآخر دلالة على وابل من التساؤلات التي ضربت رأسه جراء ما سمعه من شعيب:

ولكن لماذا هذا الاهتمام الكبير تجاه كتب التنجيم؟ ولماذا قصدتما سمرقند خاصة لأجلها؟ أو بالأحرى حتى الآن لم أسألكما من أين قدومكما؟

ياقوت: أيها العالم الكبير... لم يكمل ياقوت جوابه الذي يريد أن يجيب به طارق، حتى قاطعه طارق: وهل ما زلت تناديني بالعالم بعد تلك المناظرة التي خسرت بها أمامكم يا سيد ياقوت؟

ياقوت مبتسم: بل لم تخسر أيها العالم طارق، إنما قد ربحت دِيناً قيماً وهو ملة إبراهيم الخليل. ثم لماذا لا تكون عالماً نابغاً؟ فأنت لم تجادلني بحجتي التي ألقيتها عليك.

طارق: وكيف هذا يا سيد ياقوت؟

ياقوت: "العلماء لا يتجادلون فيما بينهم، فالجدال لا يصدر إلا من الجهلة الذين لا يفقهون الحجج التي يلقيها العلماء عليهم". لذلك فأنت لم تجادلني عندما ألقيت عليك الحجة الفلسفية لأنك فهمتها وفهمت بواطنها وأسرارها وأهدافها. لذلك فأنت عالم يا سيد طارق ولم تُتعبني.

ضحك طارق من فلسفة ياقوت وقال: درة وعالم مثلك لهو شرف لي أن أتعلم على يديه. من تكون يا هذا؟ من أين قدمتم؟ ولماذا هذا الاهتمام بكتب التنجيم؟ فالعلماء الذين معي يمقتونني في بعض الأحيان بسبب أنني أُولي لمثل هذه الكتب اهتماماً كبيراً.

ياقوت: ولماذا أنت تهتم بهذه الكتب يا سيد طارق؟

طارق: لقد قرأت الكثير من تلك الكتب، وصادف أن قرأت أنباءً عن أحداث قد وقعت قبل أن أقراها، هذا ما دفعني لأن أولي لها اهتماماً كبيراً.

ياقوت: نحن قدمنا من بلاد بعيدة، نحن قدما من اطلانطس.

طارق بتعجب: اطلانطس؟! هل حقاً مات الملك سامان؟ واختفى ابنه الأمير فردوس فور موت الملك سامان؟

شعيب بتعجب: وكيف علمت بكل هذا يا سيد طارق؟

طارق: صدقاني لقد قرأت هذا الكلام في كتاب التنجيم الذي عنوانه (**حقبة اطلانطس المظلمة**) إن ذلك الكتاب... قاطعه ياقوت: أقسم عليك بالإله الذي آمنت به اليوم إلا ما أخبرتني أين ذلك الكتاب؟

طارق بتعجب: ولكن لم تخبراني لمَ هذا الاهتمام الكبير بكتب التنجيم؟

ياقوت وعيناه تبرقان: "إن في القلب لهفة وفي اللسان شوكة وفي المقال عواصف وفي القلب جيّاشةٌ تلك العواطف وفي الجواب أسرار فلا تصر على انتزاع الجواب عمن أراد إخفائه عنك".

فهم طارق كلام ياقوت، "فالعلماء يفهمون أسرار بعضهم البعض بمجرد البوح بكلام يظنه غيرهم كلام غير مترابطة كلماته" فلقد علم طارق أن ياقوتاً يحب أن لا يجيب عن سؤاله هذا. ثم أحظر الكتاب الذي يتحدث عن اطلانطس ذلك الكتاب الذي يحمل عنوان **"اطلانطس والحقبة المظلمة"**. تفاجئ طارقا عندما أخذ ياقوت يقلِّب صفحات الكتاب بحثاً عن الرسالة التي تلخص كتاب التنجيم،

فعلم طارقاً أن ياقوت قرأ بعضاً من كتب التنجيم في السابق. قرأ ياقوت محتوى الرسالة التي تقول عن لسان الكاتب والمنجم (معين) الذي كتبها:

"في هذه الرسالة لخصت كل ما جاء في كتاب (**اطلانطس والحقبة المظلمة**) علماً أنه يحمل أخباراً خطرة تتعلق بأمن اطلانطس. رغم أن اطلانطس تتميز بنظامها القوي واستقرارها إلا أن ذات يوم سيحدث فيها انقلاباً سرياً سيطال ملكاً من سلالة سامان الأول. لقد ذكر المنجمون أوصاف ذلك الملك وقد أدرجتها في الكتاب. إن ذلك الانقلاب سيؤدي بحياة الملك على أيدي بعضاً من وزرائه وكذلك سيحاولون استهداف ابنه الأمير وولي عرش اطلانطس من بعد ذلك الملك إلا أن اختفاءه سيحول دون ذلك. سيختفي الأمير لعدة سنوات ليصبح أقوى ويشتد ساعده حتى يختلف الخونة والمؤسسون لذلك الانقلاب فيما بينهم. ويصبحون أضعف قوة عما كانوا عليه عند الانقلاب، وبذلك ما على الأمير الغائب سوى الظهور فجاء ويوجه ضربته القاضية إذا ما أراد استرجاع عرشه"

"ختم الكاتب معين"

دخل الأمير في حزن شديد حزن جهل سببه طارق وعلم سببه شعيب. أخذ شعيب الرسالة وبدأ بقراءتها، ثم عاد ياقوت ليقرأها من جديد، كرر ياقوت قرأتها حتى عشر مرات عندها علم شعيب أن هنالك سراً ما في الرسالة قد غاب عنه في حين فهمه ياقوت. إلا أنه قد أجّل سؤاله عن ذلك السر لأن ياقوت على ما يبدو ليس بحال تسمح له بأن يجيب على أي سؤال. نام ياقوت دون أن يشعر نام وهو ممسك بالرسالة وقد ضمها إلى صدره واستيقظ ياقوت بعد مضي ثلاث ساعات على نومه، وكان الوقت ليلاً. دخل عليه شعيب: سيدي ياقوت.

ياقوت وهو يدعك بعينيه ليزيل النعاس عنهما: كمْ لبثت نائماً؟

شعيب وهو يجلس بجانبه: ثلاث ساعات.

ياقوت: أين طارق؟

شعيب وهو يلتقط الرسالة من أمام ياقوت: لقد ذهب لإعداد الطعام لنا... هل لي بسؤال؟

ياقوت: لا تحتاج لإذنٍ مني يا شعيب.

شعيب: لقد رأيتك قبل أن يغلبك النعاس وأنت تقرأ الرسالة عدة مرات وكأن هنالك شيئاً قد لفت انتباهك فيها.

ياقوت وهو يلتفت إلى شعيب: حقاً؟ ألم تفهم ما السر الذي وجدتُه في هذه الرسالة التي كتبها المنجم؟

شعيب: ما جاء في الرسالة لا يختلف عما أخبرتك به من المؤامرة التي عصفت بوالدك رحمه الله؟

ياقوت وهو يضع سبابته على كلمة في تلك الرسالة: هنا قال الكاتب والمنجم (انقلاباً سرياً) ثم قال (بعضاً من وزرائه) لم يقل كلهم. هذا يعني أن هناك أملاً بأن الوزيرين (آدم ورواح) بريئان من ارتكاب الخيانة، أي أن الوزير عامر قد انقلب انقلاباً سرياً دون علم كل من آدم ورواح.

شعيب بتعجب واتساع عينيه اكبر عن السابق: لله درك من فطن يا بني! ألهذا السبب امتنع الملك سامان من أن يقيل وزرائه من مناصبهم ويسجنهم خشية أن

يظلم البريئين منهم رغم اصراري على إقالة وزرائه وإبقائهم تحت المراقبة الشديدة؟

ياقوت: نعم هذا صحيح، ولكن هذا لا يعني أنني سأجازف واتواصل مع الوزيرين (آدم ورواح)، ولا أدري ماهي الوسيلة لذلك. احتاج إلى معجزة كي أعرف أهما معنا أم علينا.

يدخل طارق ويلقي التحية على ضيفيه ويدخل معه الخدم وهم يحملون اصنافاً عدة من الطعام والشراب. وأثناء تناول الثلاثة للعشاء معاً دار حديث فيما بينهم من جملته:

ياقوت: سيد طارق كمْ كتاب تنجيم تحتويه مكتبتك؟

طارق وهو يأخذ قرصاً من الخبز: تظم مكتبتي نحو العشر كتب من كتب التنجيم.

شعيب: وفي مكاتب سمرقند؟

طارق بعدما قطع فخذ دجاج مشوي: تحتوي المكاتب التي في سمرقند مجتمعةً على خمسمائة كتاب من كتب التنجيم.

ياقوت بعد أن وضع طبق الحساء الذي كان بيده ملتفتاً إلى شعيب: هذا يعني بأننا سنمضي سنة ونصف على اقل تقديرا لنطالع كل تلك الكتب يا شعيب إن اجتهدنا بالقراءة والبحث.

طارق بعدما انتهى من تناول فخذ الدجاج ووضع العظمة جانباً: ولكن لماذا؟ لماذا تريدان قراءة كل كتب التنجيم تلك؟... ما الذي تبحثان عنه؟

ياقوت: هذا صحيح يا سيد طارق فحتى الآن لم نخبرك عن سبب قدومنا إلى سمرقند والبحث فيها عن كتب التنجيم.

شعيب وقد انتهى من أكل سيخ اللحم المشوي: إننا نبحث عن شيء لا نعرفه.

طارق: هل تريد أن تثير جنوني يا سيد شعيب؟... تبحث عن شيء لا تعرفه؟... كيف هذا؟

ياقوت: إننا جئنا لنبحث عن شيء اسمه (النور الخامس).

طارق باستغراب: النور الخامس؟ أظنني قد قرأت هاتين الكلمتين ولكنني لم أفهم عن ماذا تتحدثان؟

ياقوت وقد استبشر خيراً: أول الغيث قطرة، هذا يعني أننا نبحث في المكان الصحيح؟... في أي كتاب قرأت ذلك يا طارق؟

طارق وقد ظهرت عليه علامات الخجل: في الحقيقة قد نسيت ذلك، بسبب أنني لم أكنَّ لها اهتماماً ولأني كنت أبحث عن هدف آخر... ولكن أنا سأساعدكما في البحث عن تلك الكلمة وبالتالي سوف يقل الوقت إلى أقل من سنة قليلاً.

الحكم الذي جاء على الدماء لن ينتهي إلا على الدماء

إن الحكم الذي جاء على الدماء سينتهي على الدماء، حتى يبعث الله رجلاً خصه بأن يملأ هذه الأرض قسطاً وعدلاً، بعد أن ملأها أهل الحكم الذي يفتقر للعدالة بكل ما تحمل الكلمة من معنى تُفسّر به. فالحكم الذي جاء بالدم من خصائصه أن شعبه وإن كانوا يعيشون على أرض من ذهب إلا أنهم سيشكون النقص من كل النواحي. الفقر حدث ولا حرج، والعصابات التي لا تعد ولا تحصى، قتلاً واختطافاً، وسنين عجاف، وتعدد الرايات، تفرق الحكام، ويتلوه تفرق الشعب، والأدهى من ذلك وهي القشة التي تقصم ظهر البعير هو غياب العدالة! فغياب العدالة تعني غياب كل شيء...

هذه هي الحال التي باتت اطلانطس على موعد مرتقب لها، فكل الوزراء يرون ذلك في أفقها وخصوصاً بعد مضي ثلاث سنوات على اختفاء أميرها وولي عرشها فردوس بعد خيانة الوزراء.

لم يستطع الوزراء أن يسيطروا على اطلانطس إلا بفرض القوة الشديدة والأوامر الصارمة التي لم يعتد عليها الشعب من قبل. ذلك الشعب الذي استاء من حكم الوزير عامر الذي حل ملكاً على دولتهم. فهذا الشعب لم يعتد على هكذا نوع من الحكم الذي في ظله حل النقص الواضح في كل النواحي من تعليم واقتصاد وزراعة، وانتشرت العصابات التي زادت من الوضع سوءً أكثر. كل ذلك حدث بفترة قياسية مدتها ثلاث سنوات من اختفاء الأمير فردوس، فالوزير عامر مَثلهُ كَمَثل الشخص الخطأ في المكان الخطأ.....

"بداية الفرج أن نندم، ونعترف، ونُخلِص"

الشباب لن يكسره طول العمر أو الهرم، ولن يكسره ابيضاض الشعر، بل ما يكسر الشباب هو ثقل المواقف التي جاءت بها الدنيا، تلك المواقف التي تجعل من متلقيها يستثقل الحياة، وبالتالي قالوا عن فلأن أنه ودع الشباب. فكمْ من ذي سبعين عاماً وتغنى الشباب به، وكمْ من ذي عشرين سنة وطوقته قضبان الهرم وهربت منه صبغة شعره السوداء.

بعد مرور ثلاث سنوات ومن داخل السجن وبالسلاسل الحديدية الثقيلة التي قيدت الأيدي والارجل. كانت كفيلة بأن تجعل من ضهور أعضاء مجلس شيوخ اطلانطس مقوسة كالقوس في ذروة اطلاقه السهم. حفاة الاقدام وذو ملابس بالية، والأيدي والاقدام لا تخلو من ثقل السلاسل.

سرمد الذي اكتفى بأن يأخذ زاوية من زوايا السجن والذي اسند ضهره على أحد جدرانه: "قد لا يقتلنا عجزنا، ولكن قد يقتلنا اليأس وقنوطنا من الحياة أيها السادة".

نوح وهو يمسك السلاسل التي تقيده بيديه ويرفعهما أمام عينيه فقال متهكماً: اربع جدران قاسية وسلاسل حديدية في الأيدي والارجل وباب مغلق بإحكام وحراس خلف هذه الابواب مدججين بالسلاح. ولكن ما يعجبني هو قلبك الذي ما زال ينبض بالأمل يا سيد سرمد.

إلياس: أنا مع سرمد، كل ما نحتاجه هو معجزة ما، معجزة تقلب بعضاً من الموازين لصالحنا، حتى وإن كانت مجرد معجزة صغيرة ستكون كافية.

نوح متهكماً وساخراً: يا سيد سرمد هلا أعطيت السيد إلياس معجزة من النوع الصغير.

سنان وهو يراقب كبيرهم برهان الذي هو الآخر اكتفى بزاوية من زوايا السجن: أرجو أن تتكلم بشيء ما أيها الكبير برهان؟ وإلا فإن القنوط من هذه الحياة سيكون هو محطتنا التالية، أنا أرجوك أن تتكلم بشيء ما، لا تلزم الصمت هكذا.

برهان المسند ضهره على احد جدران السجن: أيها السادة الكرام، فلنعتبر ما يجري علينا الآن هو بمثابة تأديب لنا. فما يجري علينا الآن وما يجري على الأمير فردوس في غربته من مرارة ولوعة، هو كله بسبب أننا ذات يوم لم نأخذ بكلام الملك الراحل سامان المسكين. فعندما اخبرنا بأن أحد الكتب قد أخبره أن ذات يوم ستتم خيانته. لم نحرك ساكناً والادهى من ذلك هو أننا رحنا نذكر أمجاد حكام اطلانطس بملوكها ووزرائها، والطامة الكبرى هي أننا طلبنا منه أن لا يذكر ما قاله لنا. إلا أن الرجل تجرع كأس الموت بتضحيته فهرّب الأمير فردوس من اطلانطس بطريقة لا نعلم ولا احد يعلم كيف؟! ليواجه الموت وحده من أجل انقاذ اطلانطس وانقاذ ولده الأمير وليوجه ضربة إلى الوزراء عامر وفواز وبشار وحسان ليعرقل سير خطتهم ويمنعها من أن تجري كما يشتهون. لقد كان الملك سامان حاكماً شريفاً بحق، لقد انتصر هو وخسرنا نحن. أما وأنكم الآن وتتساءلون عن كيفية الخلاص فالأمر هو كما قاله إلياس، نحتاج إلى معجزة صغيرة فقط كي تنتشلنا من الوضع الذي نحن فيه وتقلب الوضع لصالحنا.

إلياس: ليتني لم ألد ذلك الطفل الذي قيدك يا سيد برهان.

برهان: ولماذا؟

إلياس: لماذا؟... لقد هددك اللعين عامر بقتله في حالة لم تلب طلبه بتنصيبه ملكاً.

برهان: ما بك يا إلياس، سيهددني بشخص آخر منكم عندها، ثم.....

لم يكمل الكبير برهان كلامه حتى سمع صوتاً غريباً يناديه من خلف باب السجن بهمس: سيد برهان هل أنت هنا؟ سيد برهان هل تسمعني؟ إن كنت هنا فأرجوك رد عليَّ فلا وقت لدي.

نوح وقد تقدم نحو الباب جاراً السلاسل الثقيلة خلفه: من أنت يا هذا؟ ولماذا تهمس هكذا؟ ثم ماذا تريد من السيد برهان؟

الصوت بهمس: سيدي هل أنت الكبير برهان؟

نوح: من تكون؟

الصوت بهمس: أنا أحد أعوان الملك الراحل سامان وقد زرعني بين الجند الخاصين بالوزير الخائن عامر، فهو كان يعلم بأنكم ستصلون إلى هذه الحال. فهلا أخبرني الكبير برهان بأوامره كي أنفذها، أرجوكم أسرعوا فلا وقت لدي فقد يداهمنا الوزير عامر أو أحد أعوانه في أي لحظة وقد يقتلني إن رآني أتكلم مع أحدكم لأنه سيعتبرها خيانة.

ما أن سمع السجناء ذلك الكلام حتى هرعوا بأجمعهم نحو الباب، فقال إلياس: وكيف نثق بك يا هذا؟ ما الذي يضمن لنا أنك لست من أعوان الوزير عامر وتريد خداعنا؟

الصوت وقد أعطاهم صاحبه رسالة من تحت الباب. فقال بخوف شديد: أحدهم قادم عودوا إلى أماكنكم رجاءً.

بعد أن عاد السجناء كلٌّ إلى أماكنهم، قام الكبير برهان بقراءة محتوى الرسالة التي جاء بها الشخص المجهول. وقد تيقن تماماً أن الرسالة هي من الملك الراحل سامان كتبها قبل موته، وأن الذي أحضر الرسالة شخص يمكن الوثوق به، وذلك لأن الرسالة قد خُتمت بختم خاص بالملك الراحل. راقب أعضاء المجلس الكبير برهان وهو يقرأ الرسالة، إلا أنه قد زاد حزنه وبدأ بالبكاء، والضاهر أنه كان بكاء ندم على ما فرطوا به في السابق. عندما رأى أعضاء المجلس السيد برهان وبكاءه بعد أن قرأ الرسالة صاروا للفضول أُسارى مثل ما هم لـ(عامر) أُسارى الآن. لذا هرعوا بأجمعهم إلى الكبير برهان.

نوح: (بالله) عليك يا سيدي أن تخبرنا ما الذي جاء في الرسالة كي تثير حزنك هكذا؟

إلياس وقد أخذ الرسالة ليقرأها بصوت يسمعه الجميع:

"من الملك سامان إلى أعضاء مجلس شيوخ اطلانطس.

أما بعد...

إن وصلكم كتابي هذا فهذا يعني أني قد متُّ مقتولاً. وعلى الأرجح أنتم الآن في حال يرثى لها، إما أن يكون بعضكم قد قتلته يد الخيانة التي قتلتني أو أتمنى أنهم اكتفوا بسجنكم فقط. إن وصلكم كتابي هذا فاعلموا أن الشخص الذي أحضرها لكم هو شخص يمكنكم الوثوق به، لذا إن كان السيد برهان حاضراً بينكم فليخبر

حامل الرسالة هذه ويدلي له بأسماء الخونة الذين قتلوني وقاموا بسجنكم، ثم اتركوا الباقي عليه فأنا قد أعلمته ماذا يفعل بعد ذلك.

الملك المغدور سامان الحادي عشر "

برهان وقد أسند ظهره وهو جالس على أحد جدران السجن ودموعه اتخذت على وجنتيه ومن ثم على لحيته البيضاء طريقاً رطباً إلى الأرض: ألم أخبركم أن سامان قد انتصر وخسرنا نحن؟! يا ترى كيف لي أن أنظر إلى وجه الأمير فردوس بعد اليوم؟ ليتنا صدقنا ما قاله الملك سامان وقت ما أخبرنا بأن هنالك خيانة ستلقي بثقلها على اطلانطس، ليتنا فعلنا.

نوح: كم أنت كبير أيها الملك سامان.

إلياس:"بعض الأشخاص يزداد عطرهم ووجههم لحظة فراقهم، وتظهر للعلن كل محاسنهم ونرى نقاء قلوبهم وصفاء أرواحهم... ولكن لما فات الأوان وأصبحوا تحت التراب".

الصوت مجدداً وبهمس: أيها الكبير برهان، أيها الكبير برهان، سيدي هل تسمعني أرجوك أخبرني ما على فعله، فلا وقت لدي.

هرع كل السجناء إلى الباب مجدداً، نوح: اسمعني يا هذا. ماذا يمكنك أن تفعل وحدك؟

الصوت بهمس: سيدي إن لم تكن لديكم أوامر تأمروني بها، فعليكم أن تخبروني بأسماء الخونة الذين مع الوزير عامر، كي أخبر بها الأمير فردوس.

ما أن سمع أعضاء المجلس اسم الأمير فردوس حتى استبشروا بالخلاص، حتى أن السيد برهان التصق كالطفل بباب السجن فقال والدموع تسبق كلماته وصوته الذي تخنقه العبرة: اسمعني يا هذا، أنا هو الكبير برهان، أخبر الأمير فردوس بأن الوزراء (عامر وفواز وبشار وحسان) أنهم هم الخونة وأنهم هم من قتل والده وأنهم هم من قاموا بسجننا وهددونا بقتل أولادنا إن لم ننصبه ملكاً على اطلانطس وأن كلا من الوزيران (آدم ورواح) بريئين ويمكنه الوثوق بهما فهما الوحيدان اللذان لم يقوما بخيانته، وبسبب ذلك قد ينقلب عليهما الوزير الخائن عامر ليتخلص منهما بأي لحظة.

نوح: هل هذا واضح يا هذا؟

لم يدر عليهم أحد!

رواح: يا هذا؟ يا جندي الملك سامان هل ما زلت هنا؟

لم يدر عليهم أحد!

برهان بهدوء: أرجوك لا ترد علينا" فبعض الردود مهما كانت ردود حق إلا أنها تغرس في القلب شوكة وتكسر الأمل".

سرمد: لا أسمع له أي جواب هل يعقل أنه اختفى بهذه السرعة؟

أخذ صاحب الصوت الرسالة من أعضاء المجلس، ثم غادر إلى المجهول، فلا هم يعرفون خبره، ولا حتى الكاتب يعرف ذلك...

"أخبار كتب التنجيم عن آخر الزمان"

بعد مضي سنة من القراءة المتواصلة من الليل حتى النهار بين كتب التنجيم، وتدوين المعلومات حيث أتم كلا من ياقوت وشعيب وطارق خمسمائة كتاب من كتب التنجيم جلس الثلاثة كل يطرح ما وجدوه مثيراً لشكوكهم.

ياقوت وهو يمسك بأوراق دوّن فيها بعضاً من المعلومات التي لفتت انتباهه من إخبار تلك الكتب: المستقبل في هذا العالم مخيف حسب ما تقوله هذه الكتب.

شعيب: نعم وأنا لاحظت هذا أيضاً.

ياقوت وهو يقرأ ما دونه من أحد كتب التنجيم:

"ذات يوم سيحكم العالَم شيطانا

وبالقوة سيجتاح كل الأوطان

سيقتل الشيوخ وحتى الأطفال الرضعان

ما أن يمسك زمام الأمور حتى ينعدم الأمان

له أسماء عدة أبرزها الأمريكان

هو طاغية سيظهر في آخر الزمان

طفيليٌّ طعامه الوحيد خراب البلدان

إذا بايعته الشعوب سلبها خيراتها

وإذا رفضت صار أمانها في خبر كان

دجال ينشر الرعب وكذلك الأحزان

قاتلٌ يسعى للسلطة ويخرب في العالم كل اتزان

هي دولة ستحكم ذات يوم وتهدم الشعوب والأوطان"

هذا ما قرأته في أحد كتب التنجيم وعلى ما اذكر كان عنوان ذلك الكتاب (**دولة الشيطان الأكبر**).

شعيب: أما أنا ما قرأته كان مخيفاً أيضاً.

طارق: وماذا قرأت يا شعيب؟

شعيب: تقول الرسالة التي وجدتها في كتاب (**أرض بلاد الزيتون**):

"في أرض بلاد الزيتون

إن يصبر أهلها خيراً من أن (يبكون)

عندما يجتاح تلك البلاد بني صهيون

بنو صهيون الطغاة الظالمون

الذين هم للدماء سفّاكون

وفي الأبرياء سفاحون

ظلماً وغصباً في تلك البلاد سيتسكّعون

الويل لأهلها من الغاصبين كمْ سيعانون

أبداً عن الأقصى بأغلى ما يملكون سيضحون

سلام على أرض بلاد الزيتون "

طارق: ولكن من هي بلاد الزيتون وما هو الأقصى يا شعيب؟

شعيب وقد زفر بحزن بسبب ما قرأ: لا أعلم من هي تلك البلاد وما هو الأقصى؟ ولكن الغريب هو لماذا عندما قرأت تلك الرسالة أصابني الحزن الشديد؟

ياقوت لافت إلى طارق: وأنت يا طارق ألم يلفت انتباهك شيئاً ما؟

طارق وقد أمسك ورقة قد دوّن عليها ما نقله من أحد كتب التنجيم والتي لفتت انتباهه بشدة: نعم أظن أنني قد عثرت على ما نبحث عنه منذُ سنة.

شعيب: حقاً؟ إذاً ما الذي تنتظره؟ لمَ لا تقرأ؟

طارق:" بعد أن تعصف بالعالم سنون قاسيات

ويعصف فيها خراب يفوق الخيالات

ويحكمها حكّام بظلم وعصبيات

وينتشر القتل في بلدان متعددات

لأنها بالنور الأول والثاني قد صرن مؤمنات

تلك البلاد حتماً سيذقن الويلات

سيُقتل شبابها والشيب والنساء البريئات

سيُقتل الأطفال بكل برودة دمٍ

بأي ذنب قُتلت تلك الموءودات

فإذا ما حدث كل ذلك فَلْيَسْتَبْشِرُوا خيراً أهل تلك الدويلات

إذ سيبعث الله ببقيته والمنقذ ومخلِّص الأرض من تلك الظُلمات

سيبعث الله النور الثاني عشر آخر الأنوار المباركات

عندها ستفرح تلك النفوس المظلومات

إذ سينصر الله دينه الذي ارتضاه لتلك البلاد المغتربات

ويأخذ بثأر التي أُضطِهدت والتي لأجلها باتت هذه الأكوان موجودات

الكوثر أحسن ما خلق الله من العفيفات الطاهرات

فاطم صلى عليك نور السماوات"

ياقوت بتعجب: أين قرأت تلك الأخبار يا سيد طارق؟

طارق: لقد قرأتها في كتاب عنوانه **(المخلِّص الموعود)**

ياقوت: هنالك كلمات تشبه ما نبحث عنه**!**

شعيب: نعم أنت تقصد (النور الأول والثاني) وكذلك (النور الثاني عشر) وعلى ما يبدو هو آخر الأنوار.

****

بعد أن قرأ ياقوت ذلك الكتاب الذي أخبره عنه طارق كتاب (**المخلِّص الموعود**) بسبب وجود دلالات تشبه ما يبحثون عنه وهي (النور الأول والنور الثاني والنور الثاني عشر وهو الأخير) وجد أن ذلك الكتاب يتحدث في شرح الرسالة التي قرأها طارق عن أرض تسمى بأرض (وادي الرافدين)، وهي الأرض التي تقع فيها كل من بلاد (سومر) وبلاد (بابل). حزم كل من ياقوت وشعيب امتعتهما للعودة إلى اطلانطس إلى قصر مرجان ليقررا ما يفعلانه بعد أن عرفا وجهتهما التالية وهي أرض (بلاد الرافدين).

طارق عند بوابة مدينة سمرقند: سيدي ياقوت شكراً لك إذ إنك قد عرّفتني على ديني الحق، بفضل (الله) وفضلك إذ عرفت أني أنا من كان يعيش في وسط وهم بسبب إلحادي.

ياقوت: إن الإلحاد ما هو إلا وهم يخاف من شيء يُسمى الحقيقة، إذ أنها هي الكلمة التي تُفنِّده. إن (الله سبحانه وتعالى) هو الذي ارشدك إلى نفسه، فسبحان الذي دل على ذاته بذاته.

طارق: صدقاني سأشتاق لكما كثيراً.

شعيب: شكراً يا طارق إذ إنك قد قدمت لنا يد العون في البحث عما كنا نبحث عنه.

طارق: هذا أكثر ما استطعت تقديمه لكما.

ياقوت: في أمان الله وحفظه تعالى يا طارق...

في مكتب قصر السيدة مرجان.....

السيدة مرجان وياقوت وشعيب ومعهم شخص مغبر الوجه بسبب سفرٍ أتعبه، وجهٌ شاحب بسبب خبر خطير يحمله، لاهث الأنفاس بسبب السرعة والعجالة التي كان عليها.

المسافر واسمه واصف: سيدتي أنا رسول جئت من العاصمة اطلانطس وجئت حاملاً رسالة للأمير فردوس من الملك سامان، فهلا أعلمتني أين الأمير فردوس؟

مرجان وياقوت وشعيب وقد اتسعت عيونهم بما قاله واصف، فقال شعيب: من تكون يا هذا؟ أولا تعلم أن الملك سامان قد توفي منذ أربع سنوات؟

واصف: أعلم بهذا يا سيدي.

مرجان وقد استوت واقفة وهي تنظر لياقوت تارة ولـ(واصف) تارة أخرى: ولكن كيف تقول إنك رسول من الملك سامان؟ وأنت تعلم بأنه قد توفي منذُ أربع سنوات؟!

واصف: سيدتي إن الملك سامان -رحمه الله- كان يثق بي ثقة جعلته يزرعني بين صفوف جند الوزير عامر المقربين وذلك قبل وفاة الملك سامان. وقد أمرني أن أتحرى من هم الوزراء الذين أسسوا للانقلاب وأن أحمل أسماءهم للأمير فردوس. ولكي تطمئنوا زودني بهذا الكتاب الذي يحتوي على ختمه الخاص.

بعد أن أخذ شعيب الكتاب الذي يحتوي على رسالة الملك سامان وأيقن أن ما قاله واصف كان صحيحاً، قال شعيب مشيراً إلى الأمير فردوس: تكلم يا واصف إن الأمير فردوس يسمعك.

بعد أن عرف واصف من هو الأمير فردوس جثا على ركبتيه احتراماً: احترامي لكم أيها الملك المُعظّم.

فردوس: انهض وتكلم يا واصف.

واصف بعد أن اعتدل بوقوفه: سيدي الملك فردوس إن مجيئي هذا مباشرة من مجلس شيوخ اطلانطس. لقد قام الوزير عامر وحسان وفواز وبشار بتأسيس الإنقلاب بقيادة الوزير عامر. وقد قام الوزير عامر بتهديد أعضاء مجلس شيوخ اطلانطس بقتل عوائلهم إن لم ينصبوه ملكاً على اطلانطس. لقد قام الوزير عامر بعد ذلك بسجنهم منذ أربع سنوات. وقبل أربعة أيام استطعت التسلل بصفتي أحد الجنود المقربين من الوزير الخائن عامر إلى السجن وأخذت أسماء الخونة من أعضاء مجلس الشيوخ من كبيرهم السيد برهان. وأنا رهن اشارتك سيدي الملك.

فردوس: وكيف أحوال الشعب؟ هل هناك من يؤيد الخونة والظالمين رغم ظلمهم وبطشهم؟

واصف: سيدي إن الشعب انقسم إلى قسمين، قسماً يهتف للظالمين وهم يعلمون أنهم ظالمون، فيهتفون في وجوههم إذا ما مر موكب احد الحُكّام من أمامهم. وما أن يمضي ذلك الموكب في طريقه. حتى ينهال الناس عليهم بالسب والشتم. فيتكلمون بالسوء عنه في الخفاء ويصفقون له في الظاهر.

شعيب: بعض النفاق يعمُّ بشرِّهِ حتى على الأخيار.

فردوس: من الصعب أن تقنع شعباً يهتف للخائن المتغطرس في وجهه وهو يعلم بأنه ظالم خائن بنبذهم وتركهم وعدم إظهار الرضا عنهم. فإذا ما ثأر ذلك الشعب بوجوههم حتماً ستكون هناك سيولاً من الدماء بسبب الاقتتال الطائفي. شعب كهذا الشعب الذي غطس وانغمس بالجهل وتفنن بالجهل أيما تفنن، حري بـ(الله) تعالى أن يضربهم بالتيه كتيه بني إسرائيل في صحراء سيناء.

شعيب: ولكن ما العمل الآن يا بُني؟

فردوس بعد أن نادى على صفية كبيرة الخدم لتأخذ الرسول واصف إلى غرفة خاصة باستراحة الضيوف قال: يا شعيب أنت ستذهب إلى أرض (وادي الرافدين) أو تلك التي تُسمى بأرض (اوروك). وتحديداً إلى بلاد (سومر) ومن ثم تنطلق إلى بلاد (بابل). إن ملك بلاد سومر(كلكامش) يكُّن لأبي احتراماً شديداً فقد كانا صديقين في السابق، وكذلك كانت لأبي علاقة صداقة مع ملك بلاد بابل (حمورابي) وأنا على يقين بأنهما لن يبخلا بمد يد العون إلينا. خصوصاً وإن أخبرتهما بأن هناك ملكاً قد تعرض للخيانة وهو بحاجة لمساعدتهم باستعادة العرش من الخونة الذين انقلبوا عليه. وفي طريقك عليك أن تبحث عن النور الخامس أيضاً، فأنا واثق بأنك ستجد ما نبحث عنه هناك. أما أنا سأحاول أن أتواصل مع الوزيرين (رواح وآدم) كي ينضما إلينا. إلى ذلك الوقت أنا سأنتظرك حتى تأتينا برد الملك (كلكامش) وكذلك الملك (حمورابي).

ستدُبُ الحياة في القلوب النابضة الميته إذا ما عادت بهجة الحياة إليها

عند الغروب وقبل أن يعلن الظلام احتلاله لأرجاء المعمورة يقف شخصان على مرتفع بسيط عن الأرض لمشاهدة هروب الشمس من الظلام الذي بدأت راياته تلوح في الأفق معلناً أن نصيبه من الحكم قد حلّ. حيث وقد بدأ الحزن جلياً على معالم وجهيهما، قال أحد الشابين الحزينين الكئيبين: غروب تعيس آخر يا رواح.

رواح وهو سارح في الأفق ليشيع الشمس بعينيه الحزينتين البنيتين: صدقني يا آدم منذُ أن اختفى الأمير فردوس ما عدت أشعر بطعم الطعام والشراب، وكأنني فقدت حاسة التذوق.

آدم العاقد يداه إلى صدره: بعد أن تسلّم الوزير عامر الحكم في اطلانطس بدأ يتعمد تجاهلنا في البلاط، إن غطرسته هذه تكاد أن تقتلني.

رواح وهو ما زال سارحاً في الأفق: أنا في الغد سأقدم استقالتي من الحكم كوزير، وسأعود للتجارة.

آدم لافت إلى رواح: أما أنا فقدمي على قدمك... بدونك أيها الحبيب فردوس ما عاد للحياة من طعم. فباختفائك فقدنا الابتهاج الذي كان بيننا كموقد مشتعل يستدفئ به من كان حوله به، وما أن ذهبت حتى انطفأ ذلك الموقد وغرقت أرواحنا في وسط ظلام كئيب والبرد استولى على أرواحنا.

رواح وقد ازدادت كآبته أكثر: عندما تفقد عزيزاً على قلبك وقد كان هو رونق حياتك هيهات أن تستشعر لحياتك من طعم يُلهمك لمُجاراتها، عندها ستكون أكبر

خسارة قد تخسرها هي أن تواصل الحياة بعده. فاقد الحبيب لا يعطي الحب من جديد.

آدم: والأدهى من ذلك هو عندما لا تعلم أين أراضي ذلك الحبيب؟ أهو تحت التراب لتفقد الأمل بعودته؟ أم مازال فوق التراب وأنت تترقب الباب بين الحين والآخر ليُطرق ويدخل عليك ذلك الذي لا تعلم ما خبره؟ ولكن عبثاً تنتظر.

رواح وهو يهم بركوب فرسه ليعودا إلى منزليهما بعد أن يذهبا كالعادة إلى قبر الملك سامان: الفرق الذي بيننا وبين الأموات هو أن لدينا قلوبا تنبض ولكنها خالية من الحياة.

****

أثناء ما انتصف الليل إذ يقطع الطريق على الوزيرين عشرة رجال ملثمين بسيوف ينعكس عنها ضوء القمر في وسط الليل. حيث إن أولئك الرجال الملثمين قاموا بتقييد كل من آدم ورواح وجردوهم من الخيل والسلاح، وأخذوهم أُسارى إلى إحدى بيوت اطلانطس المهجورة معصوبي العينين.

أثناء استقرار آدم ورواح في ذلك البيت الذي تم احتجازهم فيه قال آدم وهو يخاطب أحد أولئك الرجال الذي وقف أمامهم مباشرة: اسمعني يا هذا، أنتم الآن قد قمتم باختطاف شخصين أكبر ما قد يخسرانه هو مواصلة هذه الحياة.

كبير العصابة والذي ما زال ملثماً وقد بأن من خلف ذلك اللثام عينيه الزرقاوين فقط: ولكن لماذا؟... لماذا هذا اليأس والقنوط من الحياة؟

رواح: إن من يفقد عنصر حياته الذي من خلاله يستلذ بالحياة حتماً سيستلذ بالموت إذا ما لحق به.

كبير العصابة: ولكني سمعت أحد الحكماء يقول "نفقد الأحباب وتستمر الحياة رغم عنا"

آدم: ولكن حبيبنا الذي فقدناه فقدنا بفقدنا إياه ملح الحياة، وما عاد للحياة من طعم نستلذ به.

كبير العصابة: هلا أخبرتني من هو ذلك الحبيب الذي فقدتماه؟

رواح: يا هذا، هلا غرست سيفك في صدري كي ألقى حبيبي في العالم الآخر.

كبير العصابة: ولكن كيف أيقنت أنك ستجد حبيبك في العالم الآخر؟! فربما ما زال في هذا العالم حياً يرزق؟

آدم وقد شعر بأنه قد سمع نبرة صوت كبير العصابة من قبل، ولكنه تجاهل ذلك عندها قال رواح رداً: إن هذا هو ما أثقل الحياة علينا، فالحبيب الذي فقدناه لا نعلم أين هو الآن؟ أهو فوق التراب أم أنه تحته لنفقد الأمل بعودته مرة واحدة؟

كبير العصابة وقد سالت الدموع من عينيه ليشربها قماش لثامه: ماذا لو أخبرتكما أنه فوق التراب وإنه كان يعد الأيام والليالي للقياكما؟

آدم: ما الذي تهذي به يا هذا؟

رواح: وهل تعرف الحبيب الذي نتكلم عنه الآن؟

كبيرة العصابة: نعم اعرف عن من تتكلمان، أنتما تتكلمان عن صديق طفولتكما الأمير فردوس الذي هرب من أيدي الخونة.

رواح وقد سالت دموعه على خديه: من تكون يا هذا؟

آدم وقد برقت عيناه هو الآخر إلا أنه قد كبت دموعه من النزول على وجنتيه: صوتك مألوف يا هذا! من تكون؟ وماذا تقصد إن الأمير فردوس هرب من أيدي الخونة؟

رواح: أو بالأحرى كيف عرفت أننا نتكلم عن الأمير فردوس؟

كبير العصابة: لقد حدث انقلاباً سريّاً دون علمكما على الملك سامان من قِبل وزرائه (عامر وفواز وحسان وبشار)، قتلوا الملك سامان بسم دسوه له في طعامه، وكانوا سيقتلون الأمير فردوس لو لم يهرب منهم، لقد حدث كل ذلك دون أن تعلما.

اتسعت عينا كل من رواح وآدم وزادت ضربات قلوبهم أكثر، فقال رواح: ولكن ما دليلك وهل تعلم ما خطورة هذا الكلام الذي تتفوه به؟

كبير العصابة: ليس أكثر خطورة من اختطاف وزيرين.

رواح: ولكن من تكون؟

كبير العصابة: إن الأمير فردوس قد هرب منكما أيضاً فقد كان يظن أنكما خائنان أيضاً، وقد عاد إليكما بعدما تأكد من براءتكما ونقاوتكما وإخلاصكما.

رواح بأعلى صوته صارخاً: من تكون يا هذا؟ من أنت؟ وما الذي تتفوه به؟ فك قيودي.

كبير العصابة: ماذا جرى الآن يا هذا؟ قبل قليل طلبت مني أن أغرس سيفي في صدرك أراك وقد تراجعت!

رواح وهو يتقدم نحو كبير العصابة لتصبح المسافة بين أنفيهما بمقدار شبر واحد وقال بهدوء: من تكون؟ وهل ما تفوهت به صحيح؟ وهل الأمير فردوس ما زال حياً؟ وأي انقلاب تتحدث عنه؟ أرجوك أخبرني وبعدها إن شئت اقتلني.

كبير العصابة وهو يمعن النظر في عيني رواح قال والدموع تسبق كلامه بالنزول من عينيه الزرقاوين: لقد اشتقت لكما يا رواح اشتقت لكما كثيراً... نادى على رجاله: فكوا قيودهما.

بعد أن تحرر كلا من آدم ورواح من القيد الذي كانا عليه قال آدم مخاطباً كبير العصابة: أنا على يقين بأني سمعت نبرة الصوت هذه، من تكون؟

خلع كبير العصابة لثامه ليندهش كل من رواح وآدم ويُصدمان وتزداد ضربات قلبيهما وتتسع عيونهم، جثى كل منهما على ركبتيه احتراماً للأمير فردوس وهما يغطان في بكاء شديد. عندها انحنى الأمير فردوس عليهما ليعانقهما معاً ويلتحق معهما بالبكاء أَيْضًا.

رواح وهو مازال معانقاً لفردوس وانهمار دموعه مازال مستمراً: أما الآن بدأت أخاف الموت كي لا أخسرك من جديد...

وجه جميل....يشعُّ منه الغضب الشديد

العجب، الذهول والاندهاش الذي أصاب كلا من رواح وآدم جراء الحقيقة التي كانا غافلين عنها والتي أطلعهما عليها الأمير فردوس بدءً من التآمر الذي حدث من قِبل الوزراء الخونة وحتى لقاؤهما من جديد. أمر الأمير فردوس كل من آدم ورواح في البقاء في البلاط بعدما علم أن في نيتهما تقديم استقالة الى الملك عامر بسبب تجاهل الأخير لهما باستمرار. بعدها ذهب الأمير فردوس إلى قصر الوزير فواز وذلك لأنه هو الوحيد من بين الوزراء الخونة الذي قد رأى وجه الأمير فردوس في السابق مصادفةً. في منتصف الليل استطاع الأمير فردوس أن يتسلل إلى قصر الوزير فواز بمساعدة الرجال الذين جاءوا معه وهم الشجعان والثقات الذين كانوا مع التاجر شعيب في تجارته، ومن ضمنهم واصف رسول الملك سامان وكذلك صخر خادم التاجر شعيب وكذلك اشترك بهذه المهمة الوزيران رواح وآدم وكانوا جميعهم ملثمين. استطاع الأمير وبمساعدة الرجال الذين معه من تقييد كل الحراس الذين في قصر الوزير فواز دون إحداث أية جلبة تكشف أمرهم بعد اشتباكات حرص فردوس فيها أن تكون اشتباكات هادئة كي لا يُكشف أمره. حتى استطاع الأمير ورواح وآدم الملثمين من الدخول إلى غرفة نوم الوزير فواز الذي كان يغط بنوم ذي شخير تستغيث منه جدران غرفة نومه. قام آدم ورواح بإشعال القناديل في غرفة الوزير فواز النائم وبقيا على لثامهما كي لا يتعرف عليهما الوزير فواز، في حين قام الأمير بخلع اللثام كي يتعرف عليه الوزير. عندها قال فردوس: استيقظ يا فواز، استيقظ يا غدّار، استيقظ يا من قتل أبي الملك سامان.

استيقظ الوزير فواز، وهو يرى أمامه ثلاثة رجال اثنين منهما ملثمان والثالث كان شخصاً مكشوف الوجه وهو يمسك بيده سيفاً براقاً وقد وضع نهاية نصله الحاد على عنقه. كان ذلك الشخص ذا طلعة جميلة بهية ولها هيبتها، حاول أن يتذكر من هو صاحب هذا الوجه الأبلج؟ بعد أن ذهب النعاس من عينيه كأن الوزير فواز يعلم بأنه قد رأى هذا الشخص سابقاً. مسح على عينية بكلتا يديه ليطرد النعاس منهما وأعاد النظر مجدداً في وجه ذلك الشخص عله كان يحلم، وما أن أعاد النظر كان ذلك الشخص ما زال ينظر إليه بنظرة غضب تكاد تخرج النيران من عينيه الزرقاوين اللتين ينعكس منهما ضوء قناديل الغرفة. ولكن ما هي إلا ثانية واحدة حتى دبَّ شديد الرعب في قلب الوزير فواز كما لو أنه رأى أسداً جائعاً يريد افتراسه، وما هي إلا ثانية أخرى حتى أطلق الوزير صرخة دوت منها أرجاء القصر تنم عن رعبه وخوفه الشديدين فقال بتلعثم شديد: فردو... الأمير فرد... من... كيف... أين...؟؟؟

فقاطعه الأمير فردوس الذي مازال واضعاً نهاية سيفه الحاد على عنق الوزير فواز الذي كان كالفريسة الضعيفة المتهالكة بين فكي أسد جائعاً للانتقام: لا، لا تخف لن أقتلك أنا؟ بل إن الذي سيقتلك هو من تآمرت معه لقتل أبي المسكين. أنا سأتركك حياً لتُبلِّغ رسالتي للوزير الخائن عامر. أخبره بأني سأعود لأنتقم منه شر انتقام "أخبر أولئك الخونة الذين باعوا ضمائرهم أن سقوط الظالم أشد وأخزى وأمر من سقوط المظلوم". أخبرهم بأن سيفي هذا لن يدخل غمده وسأحمله على كتفي حتى ابيدكم جميعاً وامحيكم عن وجه هذه الأرض.

نظر الأمير فردوس إلى كل من رواح وآدم الملثمَين اللذين كانا يقفان خلفه وأشار للأول بأن يقيد الوزير فواز ويتركه ممدداً على سريره في هذه الغرفة،

وأمر الآخر بأن يحظر كل الحراس الذين كانوا يحرسون قصر الوزير فواز ويحبسهم مقيدون معه أيضاً حتى يأتي إليهم الوزير عامر بنفسه.

خرج الأمير فردوس وكان الوقت قبل الفجر بساعتين من قصر الوزير فواز بعد أن تركه وحراسه مقيدين في غرفة الوزير نفسه. ذهب الأمير برفقة المجموعة التي كانت معه إلى قبر والده الملك سامان بعد هذا الفراق الطويل وببكاء الأمير بكت كل تلك المجموعة التي كانت معه عند قبر الملك سامان.

وكأن الراقد في القبر قال مخاطباً الأمير فردوس: "لا تبكي يا بُني، فالنصر حليف المظلومين وإن كانوا أمواتاً. فروحي التي في العدم قد لامست روحك الشفافة، وبلمسي لروحك البلسمية شُفيت كل جراحي".

وعند بوابة العاصمة وقبل وداع الأمير ورجاله قال رواح مقهقهاً مخاطباً الأمير: صدقني يا سيدي سأعد الثواني لأرى وجه الوزراء الخونة في الصباح عندما نبحث عن الوزير فواز.

آدم وهو الآخر متحمساً: أما أنا لم أضحك كما ضحكت البارحة على الوزير فواز منذُ أن هجرتنا يا سيدي الأمير.

فردوس: قد يتأخر الوزير عامر يومين كي يبحث عن الوزير فواز لذا حاولا قدر جهدكما أن لا تثيران الشكوك واضبطا ردود أفعالكما. هل هذا واضح يا صديقاي؟

آدم ورواح وهما ينحنيان للأمير فردوس: أمرك مطاع يا سيدي الملك.

فردوس وهو يتقدم لهما ليعانقهما: أرجوكما فلتقوما بزيارتي يا عزيزاي.....
والآن إلى اللقاء...

النور الخامس

يتساءل ما سبب موجة الهمِّ والحزن التي غشيت قلبه وقلوب رفاقه الذين كانوا معه فجأة في السفر عند دخولهم هذه الأرض؟ فمنذ ثلاثة أشهر عندما بدأ السفر لم يشعروا بهذا الحزن والهمِّ إلا عندما دخلوا هذه الأرض! حتماً وقطعاً أن خلف هذه الأرض يكمن سرٌّ ما، سراً حزيناً جعل تلك القافلة تُشفق على هذه الأرض المسكينة. أرض هادئة، أرض حزينة، وكأن لها صوت بكاءٍ حزيناً كئيباً!

فقال كبيرة القافلة منادياً مساعده الأيمن: يا (دمعن) أخبر القافلة أننا سنبيت ها هنا الليلة.

دمعن: أمرك يا سيدي (شعيب).

عندما نصبت تلك القافلة خيامهم في وقت الغروب قال دمعن مخاطباً كبير القافلة شعيب: كما طلبت مني يا سيدي لقد سألت جميع العاملين إذا ما شعروا بأن موجة الهمِّ والحزن التي إصابتنا عندما دخلنا هذه الأرض إن زادت أم لا؟ فكان جواب جميعهم بالإيجاب!

شعيب: أمرٌ غريب ومُحيّر فعلاً، ما سبب موجة الحزن تلك التي إصابتنا عند دخولنا هذه الأرض؟ وما سبب ازديادها الآن وأثناء غروب الشمس تحديداً؟ كآبة تكاد أن تُبكيني بسبب كمية الحزن التي اصابتني.

دمعن: سيدي شعيب، لقد مضت سبعة أيام على دخولنا أرض (بلاد الرافدين) إن هذه البلاد تسمى بلاد (اوروك)، يُقال إنها قد شهدت حروباً متتالية ودموية وعنيفة.

شعيب: وما السبب برأيك يا دمعن؟

دمعن: هنالك أسباب كثيرة، منها أن لهذه الأرض كنوزٌ مطمورة في باطنها كنوزاً لا حصر لها.

شعيب: وما اسم هذه الأرض التي خيمنا عليها هذه الليلة والتي اصابنا الحزن والهم بسبب دخولنا إليها؟

دمعن: لها أسماء كثيرة، منها الغاضرية وعمورا وشط الفرات نسبة إلى ذلك النهر الذي شقَّ أرضها. وتسمى أيضاً أرض مارية والنواويس ونينوى وأرض الطفوف.

شعيب: هذه الأسماء فقط؟

دمعن: بل هنالك اسم آخر، اسمٌ غريب!

شعيب وقد عقد حاجبيه بسبب علامات الاستفهام: تكلم يا دمعن ما ذلك الاسم الغريب؟!

دمعن: سيدي إنها تسمى باسمها المشهور أرض (كربٍ وبلاء).

شعيب وقد وضع راحة يده على قلبه: آه آه، لاضطراب القلب، أرض (كربٍ وبلاء)؟!، متى سيأتي الصباح لنغادر هذه الأرض الكئيبة الحزينة المسكينة.

****

في جوف الليل الذي كسر ظلمةَ ظلامهِ الحالك ضوء القمر، يستيقظ شعيب على غير عادته، كان استيقاظه ليس بالأمر الطبيعي فقد كان يُنذره عن أمرٍ خفي، كان في اعتقاده أنه سيعرف أسراره إن تفقّد أرجاء هذه الأرض الغريبة؟

عندما وصل شعيب إلى هذه الأرض برفقة قافلته، لم يكن هناك غيرهم قد خيّم فيها، لذا فقد استغرب شديد الاستغراب عندما رأى أن هناك مخيماً يبعد مئة متر عن مخيّم قافلته. جَدَّ المسير نحوه ليحظى بنظرة قريبة من ذلك المخيّم الذي أذهله. فقد كان ذلك المخيّم يَشِعّ منه نورٌ عجيباً! نورٌ يُدخل في النفس الطمأنينة. ولكنه ومن بعيد قد رأى فارساً ذا بنية جسدية عظيمة يمتطي فرساً من النوع الأصيل، وكانت قدما ذلك الفارس تخطان على الأرض رغم أنه كان على ظهر فرسه بسبب بنية جسده العظيمة. كان ذلك الفارس يسير باتجاه نهر الفرات. نادى شعيب على ذلك الفارس ليرى شعيب أن ذلك الفارس قد غير اتجاهه عن النهر وصار يهرول بفرسه نحوه.

الفارس وبصوته الصلب الرجولي: من تكون يا هذا؟ وماذا تريد مني؟ وما تفعل هنا؟

شعيب الذي شرد في وجه ذلك الفارس الذي كان وجهه كالبدر المُنير: أرجو المعذرة سيدي ولكن منذُ متى ومخيمكم هنا؟... فعندما نصبنا مخيمنا هنا لم نر أثراً لمخيمكم!

الفارس: أنصحكم بأن تبتعدوا عن ها هنا كي لا يصيبكم مكروه.

شعيب: أي مكروه يا سيدي؟ ولماذا؟

ابتعد الفارس عن شعيب ليكمل طريقه باتجاه نهر الفرات والظاهر أنه كان يريد أن يملأ قربةً كانت بحوزته ماءً لمخيمه. إلا أن شعيب قد سار باتجاه ذلك المخيم وعندما اقترب منه قليلاً استوقفه رجل أسود البشرة وعليه سيماء الصالحين: من أنت أيها الغريب؟ وما السر من قدومك إلى ها هنا؟

شعيب: سيدي من أنت؟ ولمن هذا المخيم؟

الرجل الأسود الصالح: أجبني عن سؤالي أولاً كي أجيبك عن سؤالك يا هذا؟

شعيب: أنا أدعى التاجر شعيب، وقدومي هذا من اطلانطس قاصداً مدينتي سومر وبابل وقد خيمت بالقرب من هنا. والآن يا سيدي هلا أجبتني عن سؤالي.

الرجل الكبير بالسن: أنا أدعى (جون بن حوي)، وهذا المخيم للسيد النور الخامس.

دبت القشعريرة في جسد شعيب بشكل منعه عن الكلام حتى أحس أن قدماه قد تجمدتا في مكانهما. حتى قال جون بين حوي: ما بك يا هذا؟ هل أنت بخير؟

شعيب بعد أن تلعثم لسانه: هلا أعدت اسم صاحب هذا المخيم؟

جون ين حوي: أيها الغريب لا تبدو بخير! هذا مخيم السيد النور الخامس.

شعيب: واين هو الآن؟ أنا أريد أن أرى السيد النور الخامس لأني..... لم يكمل شعيب كلامه حتى قاطعه الفارس الذي التقى به قبل قليل: هل هذا أنت يا هذا؟ ماذا تفعل هنا؟

جون: سيدي (أبا الفضل) إن هذا الرجل يريد أن يلتقي بالسيد النور الخامس.

أبو الفضل لافتٌ إلى شعيب: وما تريد منه يا هذا؟

شعيب: منذُ سنوات وأنا أبحث عنه؟

رجل آخر كبير بالسن لدرجة أنه قد شد حاجبيه بعصابة كي لا يقعا على عينيه: سيدي أبا الفضل وأنت يا جون ماذا تفعلان هنا؟ ومن هذا الرجل؟

أبو الفضل: عم يا (حبيب) هذا الرجل تاجرٌ ويريد أن يرى السيد النور الخامس؟

حبيب لافتٌ إلى شعيب: وماذا تريد منه يا هذا؟

شعيب: أنا تاجرٌ من اطلانطس كنت أبحث عن السيد النور الخامس، لأن هناك قضية يجب أن أعرفها منه هو؟

حبيب: إن السيد النور الخامس في تلك الخيمة يتعبّد، تعال معي لنذهب إليه.

في وسط الظلام وفي منتصف الليل يستيقظ شعيب فزعاً ونادماً إذ إنه لم يكمل حلمه ليرى النور الخامس في منامه...

"إن بعضاً من الأمور التي قد تتحسر عليها هي أنك لم تكمل حلماً جملاً قد راودك"[٨]

[٨] المشهد الأول.

بداية زوال حكم الخونة

إن نقطة ضعف الطغاة هي أنهم لا يعتبرون ولا يأخذون العبرة من غيرهم أو من الطغاة الذين سبقوهم. فهناك طغاة قد طغوا في البلاد التي كانوا يحكمونها ولما سقطوا بانقلاب عسكري أو شعبي، وجاء طاغية آخر ليحلَّ مكانه فإنه سيحكم بنفس الطريقة التعسفية التي حكم بها الطاغية الذي سبقه متناسياً الأخطاء التي وقع فيها ذلك الطاغية، وهذا هو سبب زوال حكمهم وعدم استقرارهم! ولا نعلم، هل هذا من حسن حظ الشعب؟ أم لأن التأريخ قد كتب على نفسه أن الحكم الذي جاء بالدم لا ينتهي إلا بالدم؟!

هذا ما كان يدور في ذهن الوزير عامر، عُذراً أقصد الملك عامر! الذي اجتمع مع الخونة الذي شاركوه بالانقلاب السري وهم كل من فواز وبشار وكذلك مع الوزير فواز الذي وجدوه صباح اليوم مكتوف الأيدي في قصره، بعد أن افتقدوه منذُ يومين.

عامر وقد أسند رأسه على قبضة يده: هل أنت متأكد بأنه كان هو الأمير فردوس يا فواز؟

فواز: ليته لم يكن هو.

بشار: ما هذه المصيبة التي وقعت على رؤوسنا؟ أين كان طوال هذه الأربع سنوات؟

حسان: ما دام أن الشعب لا يعرفه، ومادام أن مجلس شيوخ اطلانطس في قبضتنا فلمَ هذا الخوف.

فواز بانفجار: هل أنت أحمق؟! هل أنت غبي؟! أقول لكم إنه كان كالأسد الغضبان والجائع للافتراس. أخبرني وبكل ثقة أنه سيأتي ليقتلنا جميعاً، وأن سيفه لن يدخل غمده حتى يُبيدنا عن آخرنا.

عامر: اهدأ يا فواز.

فواز: اهدأ؟! اهدأ؟! ولمَ لا يا عامر؟ ولمَ لا تكون هادئاً؟ فكل هذا كان بسببك أنت، أنت الذي أقنعني بالانقلاب على الملك العادل سامان، فالحق ليس عليك بل الحق عليَّ أنا إذ لم أمنعك وأشي بك إلى الملك لكي يخلصني منك، بل صرتُ غبياً وعاونتك على الانقلاب.

حسان وهو ينهض عندما كان جالساً: هل فقدت عقلك أيها الجبان؟!

همّ فواز بالخروج من غرفة الاجتماعات ولحظة وصوله إلى باب الغرفة إذ شعر بأن هناك خنجراً قد غُرس في ظهره، وعندما التفت ليرى من الذي طعنه بالخنجر، ليتفاجأ أن الفاعل هو الملك عامر صديقه المقرّب. عندها تذكر كلام فردوس حينما أخبره بأن قاتله هم شركاؤه بجريمة الانقلاب. ومن شدة الألم جثا على ركبتيه، وتذكر كيف أن الملك سامان كان يعامله باحترام وود أكثر من بقية الوزراء قبل موته، ثم قال: "إن سقوط الظالم أشدُّ دويّاً من سقوط المظلوم، لأن المظلوم حينما يسقط فإنه سيسقط وهو يعلم بأن هناك من سيقتص من قاتله. وسقوط الظالم سيكون بأبشع صور الإهانة والذلة، إضافة إلى لعنة التأريخ".

أغمض فواز عينيه، لتترك كلماته الأخيرة شبح الخوف والرعب في نفس الملك عامر بسبب اقتراب فردوس منه، بينما ترك رعباً مضاعفاً في نفس كل من

الوزيرين حسان وبشار، فردوس من جهة والخوف من غدر الملك عامر كما فعل بـ(فواز) من جهة أخرى.

تم تشييع الوزير فواز، وتم إقناع الحكومة والشعب على أن سبب الوفاة مجهول، إلا أن كلا من الوزيران رواح وآدم قد استطاعا التسلل سراً وبجهد كبير من الوصول إلى جثمان الوزير فواز ليجدا أن هناك من طعنه في ظهره. ليتيقنا أن قاتله هم رفاقه الملك عامر والوزيران حسان وبشار.

****

في مكتب السيدة مرجان تدخل السيدة مرجان على غرفة ياقوت الغارق بقراءة كتاب، بعد أن أذن لها بالدخول: سيدي الأمير إن (واصف) يريد مقابلتك.

ياقوت بابتسامة: فلتأذني له بالدخول.

دخل واصف لينحني للأمير قائلاً: احترامي لك يا سيدي الأمير.

ياقوت: ماذا هناك يا واصف؟ ما الأخبار؟

واصف: إن كلا من الوزيرين آدم ورواح يبلغانك تحياتهم، ويخبرانك أن الوزير فواز قد مات منذُ يومين.

مرجان بذهول: ماذا تقول!

ياقوت وهو ينهض ويتقدم إلى نافذة غرفته، ليعطي لـ(مرجان) وواصف ظهره: وما سبب موته؟!

واصف: إن كلا من الوزيرين آدم ورواح قد أجريا تحقيقات سرّية بشأن ذلك، ليجدا أن سبب موت الوزير فواز هو طعنة في ظهره تسببت في موته، إلا أن الحكومة والشعب قد توهموا أن سبب موته هو أمر مجهول. ولكن كلا من الوزيرين قد أكدا أن قاتله هم الملك عامر والوزيران حسان وبشار.

ياقوت: عجيبٌ أمر هذه الدنيا، كتبت في قواعد عيشها أن الغدّار لا بد وأن يُغدرَ كما قد غدر، فكأس المنية التي أسقيت منها ضحيتك سيأتي من يَسْقِيك منها ولكن بطعم أمرَّ وألذع وأكثر مهانة.

مرجان مخاطبة ياقوت: ماذا الآن يا سدي؟... أقصد ما الخطوة التالية؟

ياقوت: لقد بدأت مرحلة جديدة، وهي بداية زوال حكم هؤلاء الخونة. لذا يا واصف اذهب وأخبر كلا من الوزيرين آدم ورواح بأن ينتظراني أنا ومن معي لأجل تحرير مجلس شيوخ اطلانطس من السجن.....

طفلة صغيرة، وقصة أليمة[٩]

بعد أن أستيقظ شعيب من ذلك الحلم الذي رأى فيه مخيماً على أساس أنه تابعاً للسيد النور الخامس، وكذلك كل من جون بن حوي وحبيب وأبا الفضل وكان على مقربة من أن يرى النور الخامس، ولا يعلم هل تلك الاسماء التي سمعها في منامه حقيقية أم لا؟ هل لها وجودٌ حقاً؟ أم أنها مجرد أثغاث أحلام؟ وهل لها ارتباطاً بالسيد النور الخامس أم لا؟ وهل لها ارتباطاً بقضيته فعلاً؟ كل هذه التساؤلات قد اتعبته مما اضطره للنوم، وماهي إلا دقائق معدودة حتى أجبره صوت صهيل خيول وصراخ واصطفاق اللسنة النيران على مخيم كان يبعد مئة متر من مخيمه. بعدها نادى على كل رجاله إلا أن لا أحد قد ردَّ على ندائه، وبسبب سماعه لصوت صراخ نساء وأطفال في ذلك المخيم انطلق بكل ما أوتي من قوة وسرعة نحو ذلك المخيم ليقدم يد العون. وأثناء هرولته نحو ذلك المخيم قد توقف فجأة ليرى أمامه طفلة صغيرة وهي ذاهبة باتجاه نهر الفرات، فاستوقفها قائلاً: إلى أين انتِ ذاهبة يا ابنتي؟

الطفلة: إن والدي عطشان وأريد أن أُحظر له بعضاً من الماء ليشربه؟

شعيب: وأين هو والدك؟ ولماذا أرسلك أنت رغم صغر سنك؟ فما منعه من أن يأتي هو ليشرب من هذا النهر؟

الطفلة وبصوت قد كسره الحزن الشديد والعَبرة التي تسبق البكاء: إنه لا يستطيع أن يأتي إلى هنا؟ لأنه مثخن بالجراح.

---

[٩] المشهد الثاني

شعيب بعد أن أقترب منها ليسألها عن سبب إثخانه بالجراح، وقد حال دون سؤاله هو رؤيته أن أُذنا تلك الطفلة الصغيرة تنزفان دماً، لذا سألها بذهول: ولكن لمَ أُذناكِ تنزفان دماً؟!

الطفلة ولم تتمالك نفسها فقالت وهي تبكي: لقد جرَّ أحدهم قرطين من أُذناي ليسرقهما فأخذهما جراً ومزّق شحمتا أُذناي دون أن يراعي صغر سني يا عم.

جرت الدموع من عيني شعيب وضمها إلى صدره وهي تبكي بصوت برئ قد أبكت حتى ملائكة السماء لصوتها الذي أبكى حتى الحجر الأصم، فقال لها: ولكن من المجرم الذي فعل ذلك؟ من؟

فقالت الطفلة متجاهلة سؤاله، لأجل أن تطلب منه أمراً كان صعباً عليها: يا عم هل لي بطلب؟

شعيب: قولي يا ابنتي، طلباتك أوامر.

الطفلة: أنا عطشى، وأبي كذلك بل وأكثر عطشاً مني، فهلا أتيت معي لذلك النهر كي نأخذ منه الماء وننقله إلى أبي النور الخامس؟

تفاجئ شعيب من الاسم الذي سمعه، فأراد شعيب أن يتحرك مع الطفلة نحو نهر الفرات، إلا أنه لم يستطع. أراد التحرك مجدداً ولكن قدماه كانتا جامدتين في مكانهما، ابتعدت الطفلة عنه باتجاه النهر، لم تسمعه رغم نداءاته الكثيرة عليها، ولكن دون أية جدوى.

دون إرادته نظر نحو المخيم الغريب الذي كان يريد أن يذهب إليه وقد رأى النيران تصول وتجول في ذلك المخيم الذي اعتلت أصوت صراخ وعويل لأطفال ونساء. ليستيقظ شعيب من منامه فزعاً لاهث الأنفاس وضيق الصدر بسبب حزن ما رآه، إذ إنه قد رأى من بعيد أن هناك عصابة قاتلة تحرق خيام ذلك المخيم وتقوم بضرب الأطفال والنساء وتنهب كل خيامهم،.....

اقتحام لأجل الحرية

إن المظلوم مسكين حقاً... فإنه على مر الزمن يؤمن بصوت بداخله، ذلك الصوت الذي يخبره على الدوام أن الفرج قريب. فمثلاً، ذلك الذي قد حبسته القضبان الحديدية عن العالم وهو مظلوم فعلاً فإنه إن بقيَ حياً ولم يمت بسبب القنوط واليأس، فقد يكون ذلك بسبب ذلك الصوت الذي لطالما يخبره أن الفرج قريب، ذلك الصوت الذي يبعث في نفسه وفي قلبه الأمل بأن مهما طالت السنين فإن الخروج من هذا السجن المظلم قريب. تمر الليالي والأيام والشهور والسنين. وما زال ذلك السجين يتغنى بكلمات ذلك الصوت الذي يبشره بالفرج. إلا أن ذلك الصوت قد يَصدُق مع بعض المظلومين وقد يخيب مع بعض آخر...

هذه هي حال السجناء من أعضاء مجلس شيوخ اطلانطس، فعلى مرِّ الوقت كان الأمل بالخروج من سجنهم هو بشارة من صوت كان بداخل كل منهم، وقد زاد ذلك الأمل عندما أخبرهم واصف بأنه يعرف مكان الأمير فردوس.

سرمد مخاطباً إلياس: يا سيد إلياس، منذُ مدة أرى أن الحسرات تخرج من فمك بشكل يختلف عن السابق، ما بك؟

نوح: هذا صحيح، فأنا قد انتبهت لذلك أيضاً فهل هناك خطب ما يا سيد إلياس غير الوضع الذ نحن فيه.

لم يجبهم إلياس، إذ إن العَبرة قد تسبقه إن تكلم فيبكي وهو شيخ كبير، لذا أجاب بدلاً عنه الكبير برهن: كيف لا يتحسر وقد اشتاق صميم قلبه إلى فلذة كبده وهو ولده الوحيد، فقد طال بنا الأمر هنا.

سنان: أنا أتساءل هل استطاع الأمير فردوس أن يتواصل مع الوزيرين آدم ورواح يا ترى؟

برهان: كلما ذكرت الأمير فردوس، أتساءل كيف سأنظر في وجهه مجدداً؟ هذا إن استطاع أن يحررنا من هنا دون أن يصيبه مكروه.

نوح: ما هذا؟!!

سرمد: ماذا؟

سنان: سيد نوح، هل أنت أيضاً تسمع ما أسمع؟ فقد ظننت أني أتوهم !

سرمد: هل تريدان أن تصيباني بالجنون؟! تكلما ماذا هناك؟

نوح: أسمع ضرب سيوف وصهيل خيول وهو يقترب منا شيئاً فشيئاً!

إلياس: وأنا الآن اسمع صياح فرسان، وكأنهم يُقاتلون أحداً ما!

كانت تلك الجلبة خارج السجن، لتنتقل إلى داخل السجن الذي يحتوي على زنزانة أعضاء مجلس الشيوخ. شعروا بالخوف والارتياب لأنهم أيقنوا أن هناك من اقتحم السجن، وقام بقتل حراسه. سمعوا صوتاً يقول: سيدي إن أعضاء المجلس يقطنون في هذه الزنزانة.

يرد عليه صوت آخر: افتح الزنزانة.

فُتحت الزنزانة ليدخل أربعة أشخاص ملثمين يدخلون بسيوفهم التي تقطر دماً بسبب من قُتل بها من أعدائهم. عندما رأى أعضاء المجلس ذلك المنظر المخيف

اجتمعوا كلهم في نقطة واحدة وفي زاوية واحدة من زوايا السجن إذ شعروا بالرعب من ذلك المنظر. إذ لا يعلمون هل هؤلاء معهم أم عليهم، يتقدم الكبير برهان مخاطباً العصابة التي اقتحمت السجن: هل أنتم معنا أم علينا؟ إن كنتم علينا وتريدون قتلنا فأبدئوا بقتلي أولاً.

يخلع أحد أفراد العصابة لثامه، ليقع كل أعضاء المجلس أمامه جثياً على ركبهم وهم يبكون، والظاهر أن بكاءهم ذاك كان بكاء النادمين المشتاقين والمتأسفين والمعتذرين وكذلك كان بكاء الفرحين. بعد ذلك تقدم ذلك الرجل الذي خلع لثامه ليمسك الكبير برهان ويساعده على النهوض: لقد اشتقت لكم كثيراً يا سيد برهان.

عندما قال ذلك الرجل هذا الكلام قال برهان: أما أنا كنت بين مشتاق لك، وهارب منك، بسبب الخطأ الذي ارتكبته يا بُني فردوس.

فردوس: إن الخائن قبل أن يضرب ضربته ويُخرجُ أقبح ما فيه، فإننا قبل ذلك سنراه متزيناً بأبهى صورة الملائكية. لذلك كلنا قد وقعنا في هذا الفخ، ولن أمررها لـ(عامر) دون ثمن يكلفه كل ما فعله.

بعد أن حيا ياقوت جميع أعضاء المجلس تقدم بقية رفاقه ليلقوا التحية على أعضاء المجلس، إذ قال الكبير برهان: كأنني سمعت أصوات هؤلاء من قبل.

خلع رفاق ياقوت ألثمتهم ليتبينوا أنهم كل من الوزيرين آدم ورواح وكذلك واصف الذي زارهم في السابق.....

ظلامة يبكي لأجلها التأريخ[١٠]

لماذا؟... لماذا؟... لماذا كل ما نمت رأيت كابوساً يرتبط بكابوسٍ يسبقه؟ قطعاً هذه ليست صدفة، أنا لا أَمْن بشيء يُسمى الصدفة، بل أَمْن بشيء يُسمى أن هذا كان مُقدراً لك. لأن الصدفة هي الكذبة التي صدقها الملحد.

هذا ما قاله شعيب في فراش نومه، قبل أن يخلد للنوم مجدداً، ولكنه وقبل أن يفعل إذ سمع حافر خيل قد مرت بالقرب من خيمته، لذا قام باللحاق به بعدما امتطى فرسه لينطلق خلف ذلك الفارس الغريب الذي استقر عند نهر الفرات. نزل شعيب من فرسه ليراقب ذلك الفارس الغريب من بعيد. ولكنه قد رأى أن ذلك الفارس ليس على طبيعة كل الفرسان، لأنه قد نزل من على فرسه نزولاً غير اعتيادي، إذ إنه بدل أن ينزل من خلال ركاب فرسه فقد قام بالقفز من على فرسه. لم يستطع شعيب أن يفسّر سبب ذلك لأن الظلام قد سيطر على أرجاء المكان بسبب أن القمر قد توارى خلف السحب، وكأن القمر قد تعمّد ذلك إذ وكأنه قد بدأ يهرب من أمرٍ جللٍ قريب الوقوع لا يحب رؤيته. وبسبب الظلام الذي لم يسمح لـ(شعيب) برؤية جيدة قرر أن يقترب من ذلك الفارس أكثر، ذلك الفارس الذي بدأ بالسير نحو نهر الفرات سير الحزين النادم المنكسر. اقترب شعيب منه قليلاً وإذا به يسمع ذلك الفارس يبكي بكاءً أشفقت لأجله الحجارة التي بقربه. فقال له شعيب: لماذا تبكي؟

---

[١٠] المشهد الثالث: هذه المشاهد الثلاث هي من واقعة حقيقية من الواقع، وهي فاجعة أليمة تُسمى واقعة كربلاء الشهيرة والتي قُتل فيها خامس أنوار أهل البيت عليهم السلام وهو ابن بنت خاتم الانبياء. حيث قاموا بقتله عطشاناً ظمآناً قرب نهر الفرات. الفاجعة مروية في العديد من كتب التأريخ. حيث تقول بعض كتب التأريخ أن خاتم الانبياء قد بكى عليه بل حتى ملائكة السماء. اقرأ كتاب (وجاء الحسين) أو كتاب (وقامت زينب).

الفارس: أبكي لأن أخي عطشان، وأنا كذلك عطشان؟

شعيب وبشفقة عليه: ولكن أين أخوك؟

الفارس: إنه ينتظرني هناك عند المخيم الذي خلفنا؟

من عادة الناس أنه إذا ما أراد أن يشير إلى شيء ما فإنه يجب أن يشير بيده، ولكن الأمر الذي استغرب منه شعيب هو عندما قال ذلك الفارس "إن المخيم هناك" لم يقم بالإشارة نحو المخيّم بيده وسبابته: ولكن لماذا لا تأخذ إليه الماء؟ وبما أنك عطشان لماذا لا تشرب من النهر ثم خذ إلى أخيك ما شئت من الماء.

الفارس: لا أستطيع.

شعيب: ولماذا لا تستطيع ما الذي يمنعك؟

نهض الفارس وتقدم نحو شعيب الذي أطلق صرخة دوى منها أرجاء المكان، إذ إنه قد رأى أن أيدي ذلك الفارس مقطوعتان والدماء تقطر منهما، فقال الفارس: لذلك أنا لا أستطيع أن آخذا الماء إلى أخي، ولا أستطيع أن أشرب.

شعيب وهو يتقدم نحو حافة ضفة النهر وهو يجهش بالبكاء شفقة وقال: أنا... أنا سأقوم بإطعامك الماء يا سيدي.

الفارس بحزن شديد: لقد فات الأوان، ولن تستطيع.

شعيب باستغراب ينظر إلى الفارس: ولكن لماذا؟

الفارس: لأني سأُقتل على أيدي هؤلاء الظالمين، أعداء النور الخامس.

نظر شعيب حوله ليرى أن ذلك الفارس مُحاط بأكثر من ألف فارس مدججين بالسلاح، وعلى وجوههم نية قتل ذلك الفارس. فقام أحد أعداء ذلك الفارس برمي عينه بسهم. وقام آخر بضربه بعمود من حديد على رأسه. لم يتمالك شعيب نفسه فأطلق صرخة أقوى من الأولى ليجد نفسه أنه كان يرى كابوساً آخرا، كابوساً مرتبط بالذي قبله.....

كَلكَامش (ملك بلاد سومر)

بعد خمسة أيام من خروج قافلة شعيب من تلك الأرض، أرض (الكرب والبلاء) ليدخل إلى بلاد سومر. أُذهل بعمران تلك البلاد، المنحوتات التي تزين الشوارع وهندسة البناء فيها وجمال الطرقات وكل البنى التحتية الخاصة بتلك البلاد والتي كانت على مستوى عالٍ من الدقة والعمل فيها.

أحد حراس بلاط قصر الحكم الخاص بملك بلاد سومر (كَلكَامش) مخاطباً شعيب: انتظر هنا أيها التاجر، بعد قليل سيأتي الملك.

شعيب: شكراً لك أيها الحارس.

دمعن: سيدي لم أر مثل هذه الزخارف على الجدران والأسقف من قبل، هذه البلاد عجيبة بكل شيء فيها.

شعيب: قرأت عنها، ولكن لم أتخيلها أنها بهذا الجمال.

نهض كل من شعيب ومساعده دمعن احتراماً للملك (كَلكَامش)، ملك ذا هيبة ووقار ضخم البنية وذا خطوات ثقيلة وعندما جلس كأن جدران القصر جلست معه. فقال بصوته الذي ملأته الثقة والهيبة: تفضلا بالجلوس... لقد سمعت أنكما قدمتما من اطلانطس.

شعيب: نعم... نعم يا سيدي نحن من بلاد اطلانطس.

كَلكَامش: لقد سمعت أنها ذات نظام وعمران وهندسة تُذهل الناظر لها.

شعيب: ولكن بلادكم يا سيدي فاقتها بكل شيء.

كَلكَامش: شكراً لك أيها التاجر، ولكن للأسف كل هذا لن يدوم طويلاً.

شعيب: ولكن لماذا؟

اعتلى الحزن قسمات وجه كَلكَامش عندها وقال: سومر وبابل وغيرها من الحضارات التي أذهلت الناظرين لها بسبب عمرانها وأنظمتها الدقيقة، كلها سوف تزول عن آخرها. إذ إنها ستصبح من أسوأ البلاد في العالم بسبب حفنة لصوص ذات يوم سيحكمونها. سيأتي لهذه البلاد زمان يحكم فيها من لا يميز بين الناقة من الجمل. سيخربونها كما تخرب القرود المحصول، سيملؤونها فساداً يسد عين الشمس. فالأرض التي يصبح فيها أكثر من قائد لن يستقر لها أي وضع. سلامٌ على أهل هذه البلاد في ذلك الزمان.

شعيب: كم هذا محزن.

كَلكَامش: كيف حال صديقي الملك سامان؟

لم يتمالك شعيب نفسه، فبكى قبل أن يخبره: إن الملك سامان قد مات مقتولاً.

ضرب كَلكَامش بقبضة يده على عرشه الذي كان جَاسَا عليه ونهض غاضباً، حتى أن أرجاء المكان قد هاب ذلك المنظر، فقال: ولكن كيف مات، هل قُتل في حرب خاضها؟

شعيب: لا، لقد حدث انقلاب سرّي.

كَلكَامش: انقلاب سرّي؟! ماذا تقصد.

شعيب: لقد خانه بعض من وزرائه طمعاً بعرش اطلانطس. لذا دسّوا له اَلسُّمّ وقتلوه ولا أحد من شعب اطلانطس أو حكومتها يعلم بذلك.

كَلكَامش: وماذا عن ولده الأمير فردوس؟

شعيب: خوفاً على نفسه وعلى شعبه من الضياع هرب حتى يقوّي نفسه ليستعيد العرش.

كَلكَامش: حسناً قد فعل.

شعيب: سيدي هذه رسالة من الأمير فردوس لجلالتكم.

يأخذ كَلكَامش الرسالة وقد دقق النظر بالختم الملكي الخاص بالملك سامان:

"من الأمير فردوس الذي استضعفه بلاط حكمه...

من الأمير فردوس الذي تآمروا عليه طمعاً بالحكم الذي مصيره الفناء...

من الأمير فردوس الذي يعدُّ الأيام والليالي لأجل الانتقام...

أُرسل لكم هذا المرسال ...

أما بعد:

لقد حدثت في حكومة اطلانطس داخل القصر مؤامرة أودت بحياة أبي وصديقكم الملك سامان من خلال انقلاب سرّي لا يعلم به الشعب ولا الحكومة. وقد نجوت

من ذلك الانقلاب وهربت حتى أستجمع قواي وأضرب ضربتي القاضية. لذا من خلال هذا الكتاب أطلب من جلالتكم أن تمدوني بجيش يُمكّنني من استعادة العرش.

الأمير فردوس"

لحظة أن أكمل الملك كَلكَامش الرسالة نادى بأعلى صوته: ساميراس.

دخل ساميراس قائد الجيش وانحنى جاثياً على الأرض منحنى الرأس: أمرك سيدي.

كَلكَامش: جهزوا جيشاً يسد عين الشمس .....

= هل قتلته؟

- نعم؟

= هل ما زال شبحه يُلاحقك في منامك؟

- في المنام يُلاحقني شبحه، وفي الواقع يُلاحقني ولده

= هل أنت نادم؟

- وهل ينفع الندم؟ لقد أقسم المُنتقم على أن يُبيدنا جميعاً، وأن سيفه لن يدخل غمده حتى يُبيدنا عن آخرنا.

= إن الزمن عادل في بعض الأحيان، فمثلما لدغ الخائن لدغته، لا بد وأن يُلدغ كما قد لدغ، ولكن الفارق كبير، إذ إن السُم الذي سيسري في بدنه ذا مفعول أقوى، لأنه لم يتصوّر أن يأتي هذا اليوم الذي سيسقط فيه بهذه القوة.

- لقد كُتبَ على الظالمين والطغاة أن لهم سقوطاً مدوّياً، إذ إن سقوطهم أقوى من سقوط المظلوم.

على طاولة الطعام هكذا قد كلّم الملك عامر نفسه. كأنه قد استسلم للأمر الواقع، فقد أيقن أن الأمير فردوس لابد وأن يعود ويقتله ويجلس على العرش مجدداً. ولأجل أن يوازن هذا الضغط النفسي فأنه قد أقسم وقال: سأقتل كل من يحاول أن يغدر بي، كما فعلت مع هذين الوزيرين حسان وبشار.

قبل يوم واحد.....

في القصر، بشار إلى حارس بلاط القصر: هل الملك موجود أيها الحارس؟

الحارس: كلا يا سيدي، ولكنه سيصل بعد قليل.

حسان: أيها الوزير بشار دعنا نسبقه إلى غرفة الاجتماعات.

بعد أن جلس كل من الوزيرين بشار وحسان على طاولة الاجتماعات في غرفة الاجتماعات، أطلق بشار زفير همّ، والواضح أنه همٌّ ناتج عن تفكير في أمر يشغله، فقال حسان عندها: إنني أستطيع أن أميز الزفرات، والأحرى أن هذا الزفير ناتج عن هموم تصارعت في ذهنك، تكلم يا بشار.

بشار: لطالما فاتحتك بالكثير من أسراري إذ إنك أكثر شخص مقرب لي. بعدما فعل عامر بـ(فواز) ما فعل ونحن نعلم أن فواز أكثر شخص مقرب من عامر، ورغم هذا لم يسلم فواز على نفسه من الملك عامر صديقه المقرب.

حسان: ماذا تريد أن تقول؟

بشار: هل ما زلت تأمن على نفسك منه؟

حسان: كأنك في قلبي يا بشار، فالحق أقول إنني أفكر بالابتعاد عن عامر كي أسلم على نفسي منه.

بشار: وكيف سيكون الابتعاد؟

حسان: إن نقدم استقالتنا إلى عامر.

ضحك بشار ضحكة اليأس والشفيق على نفسه مما نبس به حسان.

حسان: هذه الضحكة، أُقسم أنها مصحوبة بهموم تكاد أن تُخرج من أعماق قلبك الأسف والندامة والخوف، فظاهراً أنت تضحك، ولكن في داخلك تريد أن تبكي. أخبرني ما بك يا بشار؟

بشار: أن تقدم استقالتك إلى عامر هذا يعني أن تطلب منه أن يخرج خنجره أو سيفه ليغرسه في ظهرك كما فعل مع فواز، لأنه بات لا يثق بأي أحد، فبعد أن قتل فواز صار كل من حوله مصدر تهديد بالنسبة له، وخصوصاً بعد أن رأى كيف أن الأمير فردوس داهم السجن ليحرر مجلس شيوخ اطلانطس.

حسان وقد نهض من مكانه خائفاً وكأنه قد أدرك أمراً خطيراً: كيف فاتني كل هذا، هذا يعني أن عامر سيقتلنا مهما أخلصنا له.

بشار: لا أعتقد أن الوقت قد فات يا حسان.

عاد حسان ليجلس على الطاولة مجدداً: ماذا تريد أن تقول؟

بشار: إذا ما أردنا أن ننجو بأنفسنا يا حسان لا بد من الهرب وإلا فإن سيف عامر سيحصد رقابنا، فالرجل قد أصبح كالمجنون لا يُؤتمن على النفس من شره وبطشه.

حسان بذهول: الهرب؟ ولكن إلى أين؟

بشار: إلى حيث لن يستطيع عامر أن يجدنا مهما جدَّ في البحث.

حسان بهمس إلى بشار: صه، أسمع وقع أقدام، هناك من هو قادم إلى هنا.

يطرق الباب أحدهم، حسان: ادخل.

حارس البلاط: سيدي إن الملك عامر قد أرسل أحد حراسه ليخبركم أن الاجتماع تمَّ تأجيله إلى يوم الغد بسبب عمل قد شغله.

بشار: حسناً أيها الحارس أبلغ حارس الملك ليبلّغ الملك أننا سنجتمع معه في الغد.

بعد أن خرج كل من الوزيرين بشار وحسان من غرفة الاجتماعات وتأكد حارس البلاط أنهما قد خرجا من القصر اتجه نحو إحدى ستائر غرفة الاجتماعات فقال مخاطباً شخصاً كان يختبئ خلفها: سيدي يمكنك الخروج الآن.

خرج عامر من خلف الستار إذ إنه كان يتجسس على الوزيرين حسان وبشار، وقع سمع كل ما دار بينهما.

****

في اليوم التالي وفي منزل الملك عامر الذي أقام مأدبة دعا عليها كل من الوزيرين حسان وبشار. قال عامر الذي أخذ بين يديه فخذ دجاج مشوي وهو ينظر لـ(حسان) وبشار وبدأ بأكل الفخذ بشراهة غريبة: أُريد أن أخبركما بأمر يخصنا نحن الثلاثة.

بشار وقد انتهى لتوه من إفراغ وعاء كان يحتوي على حساء الدجاج في بطنه: خيرٌ أيها الملك عامر؟

حسان الذي أنهى بدوره طبقاً من أسياخ اللحم المشوي: يخصنا في ماذا؟

عامر: إنه يخص اجتماع الأمس والقرارات التي توصلتما لها؟

حسان الذي شعر بحرقة غريبة دوت فجأة في أمعائه، فقال واضعاً يده على بطنه: ولكننا أجلنا الاجتماع لأنك لم تحظر.

بشار وهو الآخر الذي كان يتنفس بصعوبة بسبب ألم شديد في بطنة: أي قرارات تقصد أيها الملك؟

عامر: أقصد قراركما بشأن الهرب من اطلانطس خوفاً من أن أقتلكما.

رغم الألم الذي بدأ بالازدياد في أحشاء كل من حسان وبشار، إلا إنهما أيقنا أن عامرا كان يتنصت عليهما بالأمس، وبصعوبة قال حسان مدركاً ولما فات الأوان: هل وضعت سُماً في الأكل يا عامر؟!

عامر: وأخيراً أدركت هذا يا حسان. انظر لصديقك بشار الذي فكرت معه بأن تغدرا بي، لقد فارق الحياة وستلحق به يا حسان.

حسان والألم بدأ بالازدياد أكثر وأكثر، وهو يتكلم بصعوبة كبيرة: نعم، نعم هذه النهاية متوقعة، بالأمس قد غدرنا بالملك البريء والعادل سامان طمعاً بالعرش، ثم بعد ذلك غدرنا بالوزير فواز، وبعد هذا قد غدرت بنا يا عامر. إن الزمن

عادل، صدقني لم أر أعدل من الزمن. إن لم يستطع المظلوم أن يأخذ حقه منك فالزمن هو من سيتكفّل بذلك.

عامر بحزن وندم: الوداع يا صديقي الوداع، وبلغا سلامي للوزير فواز.....

نهض الملك عامر مغادراً غرفة الطعام واغلق الباب خلفه. وضع حسان رأسه من شدة الألم على طاولة الطعام وبدأ يغمض عينيه شيئاً فشيئاً وهو يقول: إن التأريخ قد سجّل بين طيّ صفحاته أن الخونة لا بد وأن يذوقوا سمَّ ما قد عصروا لمن ظلموا، وهيهات ثم هيهات منه أن يُفلتوا، وفي الحفرة التي حفروها لمن أرادوا به أن يغدروا، لابد وأن يأتي زمان وفيها أن يقعوا، لذا أيها الظُلّام منا فلتعتبروا، أو بتجرع ما سكبتم ابشروا.

أغمض الوزير حسان عينيه، وقد كان انطباق جفني عينيه انطباقاً أبدياً...

"الزمن علاجٌ لمن لا علاج له، وحدٌّ لمن لأحد له، وسلطان على الذي اعتدى وظن أن لا سلطان عليه، عجيبٌ أمرُ هذا الزمن!"

حمورابي

عظيم الشأن، ذو هيبة ووقار، عندما جلس على العرش كأن الهواء جلس معه، ثم قال بنبرة ارتعدت منها حيطان المكان: إن الملك سامان كان صديقاً مخلصاً، ولا يسحق ما تعرض له من خيانة.

شعيب: لقد كان حكيماً يا سيدي، إذ إنه كان على علمٍ بأنه سيتعرض للخيانة الشنعاء، لذلك قام بإخفاء الأمير فردوس حتى يستطيع أن يستجمع قواه لمحاكمة الخونة واستعادة العرش يا سيدي.

حمورابي: سأمده بجيش باسل يزلزل اطلانطس حتى تستغيث تلك الأرض منا.

همس دمعن في أُذن شعيب شيئاً، ولكن شعيب خجل من أن يكلم الملك حمورابي بما همس له دمعن، فقال حمورابي: أيها التاجر تكلم.

شعيب: في الواقع يا سيدي إن الملك سامان قبل وفاته قد أوصى ولده الأمير فردوس بمهمة غير مهمة استعادة عرش اطلانطس.

حمورابي وقد أسند رأسه على قبضة يده المسندة على العرش: وبماذا أوصاه؟

شعيب: لقد أوصاه بأن يُخفي قضية النور الخامس.

حمورابي وقد اعتدل بجلسته: هل قلت النور الخامس؟

شعيب: وهل لديكم معلومات عن النور الخامس يا سيدي؟

حمورابي: كيف لا وهو سيُقتل في هذه البلاد في أرض تُسمى (كربلاء).

شعيب مستغرباً: كأني سمعت باسم هذه الأرض؟ أليست هي نفسها التي تُسمى بأرض (كرب وبلاء)؟

حمورابي وقد زفر بحزن: نعم تُسمى بأرض (كرب وبلاء) وكذلك تُسمى بأرض (كربلاء) ولكن أخبر الأمير فردوس إنه لن يتمكّن من أن يُخفي تلك القضية، لقد ذكرت كُتبنا أن النور الخامس لا بد وأن يُقتل في كربلاء.

شعيب: ولكن لماذا؟

حمورابي: لقد ذكرت كتب التنجيم التي لدينا أن النور الخامس سيكون أمام خيارين، إما أن يُقتل تضحية لأجل بقاء البشرية وتُحفظ من الفناء، أو أن لا يُقتل وتُباد البشرية عن آخرها. لذا فإنه سيختار أن يكون قرباناً لدين التوحيد.

شعيب مستغرباً: ما أعظمها من تضحية.....

إعلان الحرب

حارس مكلّف بأمر ما: سيدي لقد ذهبت لاستدعاء الوزيرين رواح وآدم كما أمرتني ولكن لم أعثر عليهما!

عامر: ماذا تعني أنك لم تعثر عليهما؟

الحارس: سيدي لقد ذهبت إلى ديارهم ولكن لم يكن أحداً موجوداً هناك، بحثت عنهم في أماكن أعمالهم ولكن دون جدوى.

عامر في قرارة نفسه: ماذا يحدث؟

أرسل عامر الحارس إلى حراس بوابة المدينة، ليسأل عن الوزيرين، وعندما عاد الحارس قال: سيدي إن حراس البوابة قالوا إنهم قد خرجوا من المدينة منذُ يومين وحتى الآن لم يعودا.

عامر في قرارة نفسه مجدداً: ماذا يحدث؟... هناك أمرٌ ما؟... أيها الحارس اذهب إلى طبيب القصر وأسأله هل أتى أحدهم إلى الوزير فواز قبل تحنيطه ودفنه وقام بفحصه وكذلك اسأله أن فحص أحدهم الوزيران حسان وبشار؟

بعد أقل من ساعة عاد الحارس وقد أكد للملك عامر أن الوزيرين رواح وآدم قد قاما بفحص الوزير فواز قبل تحنيطه ودفنه، وكذلك قد قاما بفحص الوزيرين حساناً وبشاراً. عندها قال عامر: هل يُعقل أنهما قد اكتشفا ما كان يجري سراً عنهما؟... وهل يُعقل أنهما قد اتصلا بصديقهما الأمير فردوس؟

حارس آخر: من خارج غرفة مكتب الملك عامر: سيدي هل تسمح لي بالدخول.

عامر: أُدخل.....

الحارس الآخر: سيدي إن الوزير آدم قد أرسل لك هذه الرسالة.

أخذ عامر الرسالة وأمر الحراس بأن ينصرفا، ليقرأ الرسالة التي اشتعل شيباً منها رأس عامر الذي قام بتحطيم كل ما هو موجوداً في غرفة مكتبه. ذهولٌ، خوفٌ، رعبٌ، وحيرةٌ. جلس بعدها في إحدى زوايا غرفة مكتبه الذي قام بتحطيمه ليقرأ الرسالة مجدداً، والتي كانت تقول:

"من الوزير آدم إلى الخائن عامر

أما بعد...

أنا والوزير رواح قد علمنا أنك أنت من أقدم على قتل الوزراء فواز وحسان وبشار، ونعلم أنك أنت من قتل الملك سامان بمساعدتهم. ونعلم بأنكم يا معشر الخونة قد قمتم بسجن أعضاء مجلس شيوخ اطلانطس لأنهم قد اكتشفوا أمركم. لذا فهذه الرسالة التي ستسلب النوم من عينيك هي إعلان الحرب على حكومتك التي جاءت بالدم، والتي سنزيلها بالدم.....

خصمك الوزير آدم"

"بعض الأشياء الخيّرة في هذه الدنيا لا تدوم، فكيف بالشر؟".....

****

في قصر السيدة مرجان وفي مكتبها، جلس أعضاء مجلس شيوخ اطلانطس والوزيرين رواح وآدم والتاجر شعيب والسيدة مرجان وتوسط ذلك الاجتماع الأمير فردوس بحلته الملكية تلك الحلة التي جعلته رغم وضح النهار مشعٌّ بجماله الفذ، ومعاني وجهه، فقال مبتدأ الاجتماع: كان هنالك شريكان في تجارة للحرير الفاخر. وكان عملهما عملاً ناجحاً، وكل الأرباح يقسمانها بالتساوي فيما بينهما. وذات يوم قام أحدهما باختلاس جزءاً صغيراً من بضاعة جديدة دون علم الآخر. وكان السارق جباناً جداً وخائفاً من أن يكشفه شريكه في التجارة وبسبب خوفه المستمر وُلِدْت في داخله وسوسة تقول له بمرور الزمن إن شريكك سيكشفك ولو بعد حين. وفي اليوم الآخر قال صديقه التاجر: إن الجو جميل هذا اليوم.

فقال له السارق بغضب وارتباك: أنا لم أسرق البضاعة اعرف حدك يا هذا!!!!!!

من هنا جاء القول المشهور: وكاد المريب أن يقول خذوني!

فخلال شهر واحد أيها السادة، قام الملك عامر باعتقال كل مفاصل الحكومة من ضباط ومستشارين وقادة الجيش والمسؤولين الكبار فيها. وقام باستبدالهم بأشخاص مقربين منه استعداداً للحرب القادمة. الخائن الجبان لا يستطيع النوم لأنه في كل مرة يُغمض عينيه فيها سيرى من قام بغدرهم وخيانتهم يُلاحقونه في منامه فيستيقظ مرعوباً مصدوماً. منذُ خمس سنوات فقدت اطلانطس أمنها واقتصادها بسبب حكومة عامر الفاشلة، وفي الشهر الأخير ازدادت الفوضى

كثيراً بسبب عمليات الاعتقال تلك. لذا فحكومة عامر اليوم حكومة ضعيفة ولن تصمد أمامنا كثيراً.

برهان: سيدي أيها الملك فردوس، لقد خططنا للحرب على عامر ولكن ألا ينبغي أن نفكر بخطة لاسترجاع الاقتصاد؟

إلياس: ما يقوله الكبير برهان أمرٌ صائب، فحكومة عامر أصبحت ضعيفة عندما ضعف اقتصادها.

سنان: لا شك في أن الملك فردوس قد فكر في هذا الأمر.

مرجان مخاطبة فردوس: سيدي هل تسمح لي؟

فردوس: تفضلي يا مرجان.

مرجان: أيها السادة الكرام، إن خطة الاقتصاد التي وضعناها أنا والملك فردوس خطة محكمة بالتعاون مع تجار اطلانطس وقد ضمنّا السيطرة على تدهور الاقتصاد الذي حصل في اطلانطس، وبعد شهر من الحرب القادمة سنعيد اقتصاد اطلانطس كما كان. إذ إن الخطة قد اعتمدت على التجار وعلى ما تحتويه خزائنهم من الأموال.

سرمد: هذا جيد، أحسنتِ أيتها التاجرة والسيدة مرجان.

نوح: ولكن بَقِيَ أمرٌ واحد؟

شعيب: وما هو يا سيد نوح؟

نوح: ولكن متى سيكون زواج الملك فردوس من السيدة مرجانا؟

بسبب الخجل الشديد الذي أصاب السيدة مرجان نهضت من مقعدها ووضعت كلا يديها على أنفها وفمها. ضحك الجمع عندما شاهدوا ردت فعل السيدة مرجان، فقال الملك فردوس الذي نهض بدوره أيضاً: أيها التاجر شعيب، لطالما سمعت مرجان وهي تناديك بالأب، لذا أنا أطلب منك يد مرجان زوجة لي.

مرجان وقد زادت ضربات قلبها واحمرار وجهها وبرقت عيناها: سيدي الملك!

نهض التاجر شعيب وقال: أنا قبلت بهذا ولكن لم أسمع رأي ابنتي مرجانا حتى الآن؟

مرجان بخجل شديد وتلعثم: أنا موافقة يا سدي... أكملت مرجان جملتها الأخير واستأذنت الجميع لتنصرف، فقوة الخجل في بعض الأحيان قد تتسلط على الرسميات.....

رسول سمر قند

تطرق صفية باب غرفة السيدة مرجان: سيدتي هل تسمحين لي بالدخول؟

مرجان من داخل غرفتها: ادخلي يا صفية.

تدخل صفية الغرفة وتغلق الباب خلفها: سيدتي إن حارس البوابة يقول إن هناك رسولاً جاء من مدينة سمرقند.

مرجان: لعله جاء لياقوت، اذهبي واسمحي للرسول بالدخول لمكتب ياقوت.

صفية: كما تريدين يا سيدتي، ولكن لديَّ سؤالاً لو سمحت لي.

مرجان: تفضلي يا صفية.

صفية: اعتذر عن تطفلي، ولكن منذُ مدة أراكِ تعاملين ياقوت كما لو أنك تعاملين من هو أعلى منكِ سُلطةً؟ ما الأمر؟

يجب أن يبقى سر ياقوت بأنه هو الأمير فردوس سراً شديد السريّة، لذا قالت مرجان: إن ياقوت قد أرانا قدرته على إدارة القصر، وقد رأيتِ نباهته ونباغته في التجارة. وبفضل (الله) الذي أنعم علينا بـ(ياقوت) قد زادت أرباح تجارتي إلى ثلاثة أضعافها قبل أن يأتي إلى قصري. وقد طلب يدي للزواج منه، وأنا قد وافقت.

صفية بفرح وابتهاج: وأخيراً يا سيدتي؟! هذا أمرٌ حسن، مبارك لك.

مرجان: شكراً لكِ يا صفية، والآن اذهبِ واسمح للرسول بالدخول إلى غرفة ياقوت... لحظة يا صفية أنا من سيذهب إلى ياقوت لإخباره.

ياقوت بعد أن استلم الرسالة من رسول سمرقند: شكراً لك أيها الرسول، وبلغ السيد طارق سلامي وتحياتي، وأخبره أننا مشتاقون له.

بعد أن أنصرف الرسول، قال شعيب: لعل في الرسالة الحل النهائي للغز النور الخامس يا سيدي؟

يفتح ياقوت الرسالة ليقرأ:

"من خادمكم طارق إلى جنابكم الكريم يا سيد ياقوت.

أما بعد...

لقد وجدت كتاباً بحوزة ملك سمرقند وقد سمح لي بقراءته بعد إلحاح كبير وتقرب منه. وقد استطعت أن أكشف السرّ النهائي للنور الخامس.

يقول المنجم الذي ألف ذلك الكتاب والذي اسماهُ (**أرض الطفوف**) في رسالته التي لخصت الكتاب:

إن (الله) جلّ جلاله قد خلق هذه الأكوان لأجل خمسة أنوار فقط من البشر، وهم من أهل بيت واحد ويتكون ذلك البيت من سيدة وأبيها وبعلها وبنيها. وهم رُسل (الله) إلى البشرية جمعاء. قلة من الناس ممن سيؤمن بهم، ولكن أكثرهم سيعاديهم ويتآمرون عليهم ويقتلونهم واحداً تلو الآخر، إلى أن ينتهي المطاف بـ(النور الخامس) فيقتلونه شرَّ قتلة، لأنه سيكون أمام خيارين إما أن يقبل بالشرِّ

والباطل وتتيه البشرية عن آخرها، أو أن يُقتل ويُنقذ البشرية من الضياع. ولكن وبسبب تضحيته لدين التوحيد سيُخلده التأريخ ويرسمه بطلاً يقتدي به كل الثوار ويتغنون بتضحيته ويقتبسون من بطولته بطولات ضد الظلم والطغاة. لذا فمن آمن بتلك الأنوار سينجو من التيه ومن تخلف عنهم هلك وهوى.

هذا ما جاء في الكتاب والسلام.....

طارق السمرقندي"[١١]

حزنَ ياقوت حزناً شديداً، فقال شعيب بحزن مماثل: إذن لا فائدة من إخفاء قضيته، فقد جرى القضاء ألا فاسترجعي.....

[١١] ما جاء في الرسالة من الواقع.

حربٌ انتهت قبل أن تبدأ

لاهث الأنفاس، مصفر الوجه، مؤمن بالموت مسلوب السلاح، هذه هي الحال التي جاء بها حارس بوابة اطلانطس إلى الملك عامر.

عامر: ما بك أيها الحارس؟! مالي أراك وأنت على هذه الحال؟

الحارس: سيدي، الآلاف من الجنود بل مئات الآلاف نعم يا سيدي مئات الآلاف من الجيوش قد طوقت اطلانطس من جميع الجهات، مدججين بأنواع الأسلحة.

اتسعت عينا عامر مع ازدياد ضربات قلبه سأل الحارس سؤالاً يعرف أجابته: ومن هو قائد ذلك الجيش؟

الحارس: إن لتلك الجيوش أكثر من قائد واحد، إنهم أعضاء مجلس شيوخ اطلانطس، وكذلك مع الوزيرين رواح وآدم، وقائدهم الكبير هو الأمير فردوس.

في قرارة نفسه قال عامر: صدقني أيها الحارس كنت كل يوم أرى هذا المشهد في كوابيسي، وها هو قد تحقق...

أمر عامر الحارس بأن يُخبر كبار القادة بأن يجهزوا أنفسهم والجيوش للحرب لملاقاة الأمير فردوس وجيوشه.

كعصفور صغير أمام سرب من النسور الجارحة، أو كقطرة ماء أما محيط شاسع، أو كحمل وديع أما قطيع من الأسود الضارية الجائعة. هكذا أمسى جيش الملك عامر أمام جيوش الأمير فردوس، تلك الجيوش التي تتكون من جيش بلاد

سومر الذي أرسله الملك (كَلكَامش)، وجيش بلاد بابل الذي أرسله الملك (حمورابي).

برهان بصوت عالٍ مخاطباً جيش عامر: اسمعوني يا جيش اطلانطس، إن هذه الحرب ليست ضد اطلانطس، بل هي ضد عامر الخائن.

تقدم إلياس فقال مخاطباً جيش اطلانطس: يا أيها الناس، إن الملك سامان قد مات مقتولاً لا يخدعنكم هذا الوغد عامر الذي ادعى بأنه قد مات حتف أنفه.

يتقدم نوح: يا جيش اطلانطس: إن عامرا قد تآمر مع الوزراء السابقين (فواز وحسان وبشار) وقاموا بدس السم للملك الراحل سامان، لقد قتلوه طمعاً بالعرش، كانوا يريدون قتل الأمير فردوس أيضاً ولكن الأمير قد استطاع أن يهرب من كيدهم الخبيث. إلى حين يستطيع أن يبني جيشاً بمساعدة بلدان أخرى.

سرمد: لقد استطاع أن يختفي الأمير فردوس عن الأنظار بسهولة لأن لا أحد قد رأى وجهه من قبل، وكنتم تتساءلون لماذا لم يسمح الملك سامان برؤية وجه الأمير فردوس؟ الجواب أيها الناس لأن الملك سامان كان على علمٍ بأن هناك من سيغدر به.

سنان: تنكر الأمير فردوس بثياب الخدم وقام التاجر شعيب الذي هو الوحيد الذي كان يعلم بالقصة كلها ببيع الأمير فردوس على أساس أنه عبد إلى التاجرة مرجان لكي يخدمها في قصرها وسمى نفسه (ياقوت) لكي يستطيع أن يختفي عن الأنظار تماماً.

عامر بصوت عالٍ بالجيش: لا تصدقونهم إنهم يكذبون عليكم، هؤلاء كاذبون يريدون أن يخدعوكم.

أحد قادة جيش اطلانطس: هل تقول إن أعضاء مجلس شيوخ اطلانطس خونة أيها الملك؟!

غضب عامر وقام بتجريد سيفه وقتل ذلك القائد وقال: هذا جزاء كل من يشك بكلامي.

تقدم الوزير آدم وقال بصوت عالٍ مخاطباً جيش اطلانطس: يا أيها الناس، اعلموا أن الوزراء فواز وحسان وبشار قد اختلفوا مع عامر وخالفوه الرأي، فقام عامر بقتلهم واحد تلو الآخر وأوهم الناس بأنهم قد ماتوا حتف أنوفهم.

رواح: أنا والوزير آدم كنا أصدقاءً منذُ الصغر للأمير فردوس ونحن نعرفه تمام المعرفة أي أنا والوزير آدم وأعضاء مجلس شيوخ اطلانطس والتاجر شعيب فقط من كان يعرف الأمير فردوس ولهم الإذن برؤية وجه الأمير.

تقدم الكبير برهان وقال: يا أيها الناس إن الأمير فردوس هذا الذي هو أمامكم الآن، هذا هو خليفة الملك سامان وهذا هو ملك اطلانطس.

تقدم الأمير فردوس: يا شعبي ويا إخوتي وأهلي..... حربي ليست معكم بل مع الخائن والغدّار عامر، الذي سأقوم بإعدامه أمامكم وأمام الشعب نكالاً بالخيانة العظمى التي قام بها والتي سمعتموها عن آخرها، لذا أنتم لا ذنب لكم كي تُقحموا أنفسكم بهذه الحرب التي ستخسرونها لا محالة.

تقدم الوزير عامر الذي أراد أن يأمر الجيش بالقتال، وهو كان يعلم يقيناً أنه مقتولٌ بهذه الحرب الخاسرة من جانبه، فهو كان يريد الموت كي يهرب من خزي الإعدام أمام شعب اطلانطس. وقبل أن يصدر الأمر شعر بأن هنالك شيئاً حاداً وحار الملمس قد اخترق ظهره وخرج من بطنه، نقدم بفرسه للأمام ليصدر أمر القتال ولكنه لم يستطع الكلام. نظر لذلك الشيء الذي اخترق جسده ليراه سيفاً حاداً والدماء تجري من بطنه. نظر ليرى من ذلك الذي ساعده على الهرب من عار وخزي الإعدام ليتفاجأ بأنه (سايدين) ابن الوزير فواز وقد قام بهذا الفعل انتقاماً لأبيه، حيث صرخ باكياً قائلاً: مُت، مُت أيها الخائن القاتل، مُت فهذا ثأر أبي الذي قتلته أيها الغدّار.

سقط عامر وهو ينظر للأمير فردوس فقال:

"إن سقوط الطغاة له دويٌّ كبير، أكبر وأقسى من سقوط المظلوم"**.....**

تم بحمد الله

في بعض الأحيان إن لم نَنطِق بما في القلب فقد نمرض.
فاستجابتنا لرغبة الكلمات بترك العدم قد يُنقذنا من الهلاك.
كما البوح بالأسرار الضارة خيرٌ من كتمانها.....

— سجاد الحولاوي —